الافتتاحية

كَيْدُ الْخَائِنِين

النفس مجبولة على الشيم، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب، لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة.

ويمر العالم الإسلامي اليوم بمحَن عظيمة، ونوازل شديدة، ساهم فيها بشدة تعرّضها لخيانات متعددة، تارة من أعدائها، وتارات- وهو أشد- من أبنائها، وصدق الشاعر:

يُخادعني العدو فلا أبالي ... وأبكي حين يخدعني الصديق

والخيانة مذمومة في شريعة الله، وتنكرها الفطرة، وهي كلمة جامعة لكل معاني السوء، فهي نقضٌ لكل ميثاق، أو عقد بين إنسان وخالقه، أو إنسان وإنسان، أو بين الفرد والجماعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨)، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢)، وقرن الله جل وعلا بين الخيانة والكفر في قوله جلّ وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨).

والخيانة من سمات النفاق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (متفق عليه)، وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون للحديث: «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غَدْرَة فلان» (متفق عليه)، وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الخيانة كما روى أبوداود أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»، ومن شؤم الخيانة أنها مذمومة حتى مع الكفار، والخونة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»، وهي ظاهرة موجودة على كل الميادين، تقلُّ في ميدان وتكثر في آخر.

فخيانة العقيدة من أشنأ أنواع الخيانات، وخيانة الشريعة بعزلها عن حياة المسلمين، وخيانة الأعراض بانتهاكها، وخيانة الكسب بعدم الحرص على الحلال في المطعم والمشرب وغير ذلك، من عدم رد الأمانة، وإفشاء سر المؤمن، والتقصير في قضاء حاجة الناس، ومن معاني الخيانة أيضًا أن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته، ومن الخيانة أن يُسنَد عمل إلى غير أهله، ومن الخيانة خيانة العالم لعلمه، فالعلم أمانة في عنق العلماء، إن بيَّنوه للناس وصانوه من التحريف والتلاعب كانوا أوفياء لأقدس أمانة، وإن لم يفعلوا كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، ومن معانيها خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)، ويدخل في ذلك أداء الديون، فالمماطلة بها خيانة.

وأما علاجها، فأن تُربى القلوب على مخافة الله وخشيته، بالعودة إلى الشريعة وأحكامها أولا، وبمجاهدة النفس وحملها على الاستقامة ثانيا.

إذا لم تتسع أخلاق قوم ... تضيق بهم فسيحات البلاد

إذا ما المرء لم يخلق لبيبا ... فليس اللب عن قدم الولاد

فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٤

شعبان ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

يونيو - يوليو ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ -

الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

صار بوسع من يمتلك الفضاء الإلكتروني أن يحجبه عنا أو يحجبنا عنه، وبات بوسعه أن يكشف كل أوراقنا ويتدخل لإفساد حياتنا.

الخطاب الإسلامي والمستقبل

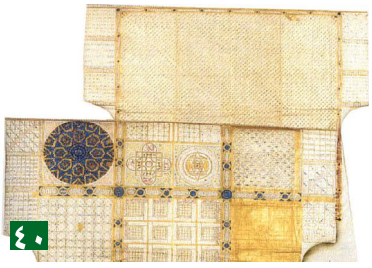

المسلمون.. صناع حضارة وأمراء صناعة

مقامات الحريري.. درة أدبية

مركز البحوث الإسلامية

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة - رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا - شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار •الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الإفتتاحية/ كَيْدُ الْخَائِنِين	رئيس التحرير
٦	مؤتمرات/ السراج النبوي ينير درب البشرية الحائرة	فيصل يوسف العلي
٨	مؤتمرات/ الإعلام العربي.. الانكشاف والتحول	عبادة نوح
١١	فكر/ بين الفقه والحركة	أحمد عبدالجواد زايدة
١٢	حوار/ د.حسن الشافعي	بدر محمد- مريم عبدالحميد
١٦	فكر/ فض الاشتباك بين مفهومي البدعة والإبداع	أ. د. أمان قحيف
١٨	فكر/ الخطاب الإسلامي والمستقبل.. ضرورة لا ترف	السنوسي محمد
٢١	ملف العدد/ الحروب الإلكترونية والوعي المفقود	علاء الدين عبدالفتاح
٢٢	ملف العدد/ قصة الحرب الإلكترونية	محمد شعبان أيوب
٢٤	ملف العدد/ صراع الهُوية الإسلامية	د. عبدالله بدران
٢٦	ملف العدد/ الفضاء والبنى المعلوماتية	د. إسماعيل عبدالمجيد
٢٨	ملف العدد/ الخداع الممنهج	محمد الهامي
٣١	ملف العدد/ أخلاق الحروب الإلكترونية	د. مسعود صبري
٣٣	ملف العدد/ نصائح خبراء الحماية التقنية لتجنب مخاطر التجسس الإلكتروني	محمد مسعد
٣٦	ملف العدد/ هل يمكن تجنب السرقات الإلكترونية؟	د. أندي حجازي
٣٩	ملف العدد/ لصوص الإنترنت.. من يحاسبهم؟!	مصطفى عباس
٤٠	دراسات/ المسلمون.. صناع حضارة وأمراء الصناعة	بهيج سكيك
٤٤	دراسات/ جودة مياه الشرب	خالد عنانزة
٤٦	دراسات/ تربية العزة في الإسلام	رشيد الحسن
٥٠	روائع/ حكم بالغة.. ووصايا بليغة	د. محمد حسان الطيان
٥٢	تحقيق/ المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهضة	همام عبدالمعبود
٥٤	لغة وأدب/ لغة الضاد	صلاح رشيد
٥٦	لغة وأدب/ مقامات الحريري.. درة أدبية فريدة	مجدي إبراهيم
٥٩	لغة وأدب/ من أعظم منك يا محمد	ألفونس دا لامارتين
٦٠	لغة وأدب/ حين يقتل الاحترام بالقسوة	مياسة النخلاني
٦١	لغة وأدب/ وداع صديق	عبدالعزيز العسكر
٦٢	لغة وأدب/ نكبة فلسطين في ذاكرة شعراء الكويت	رفعت بدوي
٦٥	لغة وأدب/ عبقرية اللغة العربية الفصحى وكمالها (٢-٢)	عبدالله آيت الأعشير
٦٨	تراث/ أرجوزة في آداب الدعاء	صالح بن محمد بن عبدالخالق
٧٠	أنباء الكتب/ المحصول في علم الأصول للرازي	محمد بن طارق الفوزان
٧٣	إدارة/ السلوك الأخلاقي لعلم المحاسبة	د. سلطان السهو
٧٤	أسرة/ عجيب أمر النساء .. وحكاية «حقهن المسلوب»	د. إيمان بنت محمد علي عزام
٧٦	أسرة/ لا يوجد طفل كسول	بشرى شاكر
٧٨	أسرة/ الموهبة المفقودة	بلال المريسي
٨٠	أسرة/ أساسيات لبناء شخصية المرأة المسلمة	سعيدة عبدالخالق
٨٣	أسرة/ عبارات سلبية أمام طفلك	عبدالحق بوزرب
٨٤	أعلام/ الشيخ محمد متولي الشعراوي.. مفسر القرآن	حسام أبوجبارة
٨٦	منارات/ مركز البحوث الإسلامية	تركي النصر
٩٠	طب/ فلذات أكبادنا والأمراض الجلدية	د. عبدالرحمن النمر
٩٢	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ فقه الواقع وحركية المجتمع	د. محمد سعيد باه

كلمة العدد

التطاول على قدوتنا

لوحظ في الآونة الأخيرة بالفضاء الإلكتروني، وفي ظل الحراك المجتمعي بالعالم العربي قيام بعض الشباب من بني جلدتنا بالتطاول على الرسول ﷺ وصحابته الكرام دون مراعاة لخطورة مثل هذه الممارسات على نسيج المجتمع الإسلامي، وما قد تسببه من فتن داخلية تأكل الأخضر واليابس.

ومن المعروف أن محبّة محمد ﷺ أصل من أصول الإسلام، وأحد شروط صحة الإيمان، وأن المسلمَ لا يبلغُ كمالَ الإيمان حتى يحبّ محمدًا أكثر من أي شيء آخر، وعندما سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومًا عن حبّه لمحمد ﷺ قال «كان والله أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظّمأ».

والإسلام يعتبر الاحتكامَ إلى الرسول ﷺ والرضا بحكمه شرطًا للإيمان، وقد أجمع المسلمون على حرمة أذيّته، وأنه إنسان كامل من كلّ النواحي، منزّه عن كلّ عيب أو نقص، وأنه أُعطي الحسن والجمالَ كلّه..

نقول لكل من تسول له نفسه بالطعن في شخص رسولنا المصطفى أو صحابته الكرام، اتقوا الله، وحققوا محبتكم بالاتباع لسنته، والامتثال لأوامره، وأظهروا ذلك في أعمالكم وأموالكم، واحفظوا لرسولنا الكريم مقامه، واسترشدوا بهديه، وكما قال الجنيد: «الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على مَن اقتفى أثر الرسول ﷺ واتّبع سُنّته ولزمَ طريقته؛ فإن طُرُقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه».

● ارتأت إدارة التحرير مواكبة التطورات الحديثة في مجال الصحافة المطبوعة، فأدخلت بعض التغييرات على المجلة شكلا وموضوعا، آملين أن يصبح هذا العدد متميزا عن سابقيه، وأن يكون مضمونه الموضوعي ملتحما بالقضايا والأحداث المعاصرة في الوطن العربي، خاصة أن الساحة الإسلامية تشهد العديد من التغيرات الاجتماعية والفكرية والثقافية، في ظل حراك حيوي تعيشه الأمة الآن.

التحرير

الاشتراكات ● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

السراج النبوي ينير درب البشرية الحائرة

غازي عين تاب (تركيا) - فيصل يوسف العلي

عقدت مجلة «حراء» ومجلة «يني أميد» مؤتمرًا دوليًا تحت عنوان «السراج النبوي ينير درب البشرية الحائرة» بحضور نخبة من العلماء والمفكرين والمثقفين عن تركيا والعالم العربي والإسلامي، وذلك خلال يومي ٥-٦ مايو الماضي في مدينة غازي عين تاب بتركيا.

وقد وجه العالم الفاضل فتح الله كولن رسالة للحاضرين في المؤتمر قائلًا: إن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى درب الأنبياء وسبيلهم الذي يراعي العقل والمنطق والفكر والحس والقلب والوجدان والحوائج الفطرية والبشرية جميعها لبني الإنسان.

وقال كولن إن كل حركة نبوية تعد طريقًا مشتركًا في القضايا الأساسية منذ الإنسان الأول، والتي نبهت إلى الأساسيات كالتوحيد والبعث والنشور والنبوة والعبودية والعدل، وأدامت الإرشاد والتنبيه وأنواع التحذير بشأن المسائل التبعية حسب الزمان والشروط العامة ودرجة النضج الإنساني.

وأوضح أن القرآن الكريم هو مرجع أساسي لحل معضلات الإنسانية التي بلغت أشدها مبينًا أن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى «بعث ما بعد الموت» وإصلاح جاد في ملكاته العقلية والروحية والفكرية، وبإفادة دافئة إلى إحياء متطلبات أصناف البشر كلهم ويحتضن الحياة كلها.

من جهته أكد مفتي المملكة الأردنية الشيخ عبدالكريم الخصاونة أن المجتمعات على اختلاف أنواعها وتعدد مشاربها لا تقوم على جادة الحياة الصحيحة إلا إذا تآلفت قلوبها وزكت نفوسها واستمسكت بسنة نبيها ﷺ وإلا فسيظل الناس يجرون وراء الميول الدنيوية والمطامع الشخصية، ويلهثون وراء الملهيات والشهوات.

وبين الخصاونة أن الإسلام سعى إلى تنمية الجانب الروحي لأنه يقود الإنسان إلى العواطف النبيلة والمشاعر الإنسانية الجميلة، ويعرج به إلى عالم الروح ويخفف من شدة الغرائز والشهوات والمتطلبات المادية.

من جانب آخر أوضح رئيس تحرير مجلة «حراء» نوزاد صواش أن الرسول الأعظم ﷺ منذ أقام سرادقه على وجه الأرض توجه إلى فتح القلوب وسعى إلى رسم حقيقة الإيمان في كل وجدان وعلمنا بذلك حكمة كبرى وهي أن الإيمان كلما كان متجذراً في القلوب كانت إشراقاته في مجالات الحياة المختلفة ساطعة متألقة، فهو الجوهر الأساس في بناء الذات وفي بناء العمران.

بدوره قال مدير معهد المناهج في الجزائر د.محمد بابا عمي إن البشرية تسير مهرولة نحو حتفها، وتستعجل عنوة خرابها ودمارها، وتأكدت ألا شيء من محاولاتها البائسة يستطيع انتشالها من براثن الشقاء والهلال

جانب من جلسات المؤتمر

الطرف الوحيد الذي يملك مفاتيح الحل ويضع يده على فتيل السراج هم العلماء الصالحون المصلحون

والدمار، لافتا إلى أن أصدق وصف يليق بحال البشرية اليوم هو وصف «الحيرة» بعدما عرفت قرونًا من «الوهم» و«الغرور» و«الادعاء»، وجربت شتى «النظريات» والأيدولوجيات» و«الفلسفات».

وطالب العالم المسلم المستنير بالوحي والسراج المنير أن يحمل على عاتقه مهمة تصحيح الرؤية الكونية، من خلال إحلال «الرؤية الكونية التوحيدية» بديلًا عن «الرؤية الكونية المادية الإلحادية» وفي الدوائر العلمية المختلفة مشيرًا إلى أننا مدعوون إلى أن نكون أرفع من الأرض مستوى وأعلى منها قدرًا وأكثر منها نفعًا وأزكى منها صدقًا وإلا اعتبر خطابنا مجرد «ادعاء فارغ» وكلام لا يصدقه العمل.

وأضاف: الأعاصير الهوجاء تعصف بجميع بلاد المسلمين، وهم في جميع الأحوال الضحية الأولى والمتهم الأول، فلا ينتظر الكثير من مدخل السياسة ولا من باب حقوق الإنسان، ولا من أي جهة مهما كان شأنها، وإنما الطرف الوحيد الذي يملك مفاتيح الحل ويضع يده على فتيل السراج هم العلماء الصالحون المصلحون من كل تخصص وفن.

من جهة أخرى اعتبر أستاذ اللغة العربية في جامعة الأزهر د.فتحي حجازي أن علاقة الوحي بالنبي ﷺ

رئيس التحرير يلقي كلمته بجوار نوزاد صواش

هي علاقة استمداد واستمرار، أي استمداد الأنوار من الوحي بإلقاء أنوار الوحي في قلبه ﷺ، ثم تستمر الأنوار فيه وتسري، وتبقى بعد انتهاء حالة الوحي في جسده المشتمل على قلبه وروحه ونفسه.

وقال حجازي إن النبي ﷺ كان في شخصيته الذاتية مقومات الدعوة ومنهجها، وكان مثالا يحتذي به الدعاة في كل زمان ممن وفقهم الله إلى استمداد أنوار هدايته ﷺ، وهذا جانب من جوانب عظمته ومكانته التي نطق بها القرآن.

جدير بالذكر أن المؤتمر شهد حضورًا جماهيريًا كبيرًا من مختلف أطياف المجتمع الإسلامي لاسيما أن محاور نقاشات المتحاورين كانت حول عالمية المنهاج النبوي وربانيته، والمشاكل الاجتماعية وحلولها من المنهاج النبوي، والمنهاج النبوي والحياة الاجتماعية، وأفق العلم وفلسفة التربية والتعليم في المنهاج النبوي، وسعادة الإنسان وأمنه، وتوقير السلف الصالح.

في منتداه الـ «١١» بدبي بحضور ٣ آلاف إعلامي

الإعلام العربي.. الانكشاف والتحول

دبي : عبادة نوح

أوصى المحاضرون في منتدى الإعلام العربي الـ ١١ بضرورة توطين المفاهيم الإعلامية وإيجاد صياغة جديدة تكون مجتمعية إعلامية شاملة، لضبط إيقاع المجتمع العربي، حيث يرون أن مسؤولية النهوض بالإعلام تقع على عاتق عدة أطراف، بدءًا من الإعلاميين المهنيين مرورًا بالمجتمع والحكومة وانتهاء بالمؤسسات التعليمية، إلى جانب ضرورة وضع التشريعات المتلائمة مع مرحلة التغيير والنهوض.

ودعا المشاركون إلى أهمية استشراف مستقبل صناعة الإعلام في العالم العربي في ظل الحراك المجتمعي الواسع، ابتداء من اللغة المستخدمة في التعبير عن الرأي والحوار، مرورا بدور الخطاب الديني في الإعلام الفضائي والشبكي، إلى نظرة في المنتج التلفزيوني وتحديات الابتكار أمام المنابر الفردية الإلكترونية، مع أهمية استحضار الضمير الإعلامي ومواثيق الشرف الإعلامية لضبط نزوع الإعلام إلى الفوضوية في المجتمع.

جاء ذلك في منتدى الإعلام العربي بدورته الحادية عشرة الذي عقد بفندق جراند حياة في دبي خلال يومي ٨ و ٩ مايو الماضي وبتنظيم من نادي دبي للصحافة تحت عنوان «الإعلام العربي: الانكشاف والتحول»، بحضور أكثر من ٣٠٠٠ إعلامي من المنطقة العربية ومختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى نخبة من صناع القرار، وقادة الرأي، ورواد الأعمال، وقد شمل برنامج

المنتدى ثماني جلسات وأربع ورش عمل سلطت الضوء على آراء وأفكار أكثر من ٦٥ متحدثًا من الأوساط الأكاديمية والإعلامية والبحثية في المنطقة العربية.

ولعل جديد المنتدى هذا العام هو إصدار تقرير استرشادي بعنوان «نظرة على الإعلام العربي ٢٠١١-٢٠١٥» والذي يسلط الضوء على التطورات الإعلامية في ١٧ دولة عربية، موضحا أنماط الاستهلاك الإعلامي في عدة دول.

واعتبر المشاركون في المنتدى أن المشهد الإعلامي في الآونة الأخيرة يتطلب واقعا جديدا لشكل وطريقة سريان المعلومة والتأثير في الرأي العام، لاسيما أن بعض وسائل الإعلام مازالت تسير أعمالها وتخاطب الجمهور بالطريقة التي كانت عليها في فترة ما قبل الربيع العربي، وكأن القائمين لم يستفيدوا من دروس مرحلة الحراك والتغيير.

وقالوا إن الصورة تزداد تعقيدا في المجتمع العربي الذي يمثل الشباب النسبة الأكبر بين سكانه، حيث بينت دراسات عدة أن الأسلوب النقدي الحاد الذي يستخدمه الإعلاميون الجدد له أسباب كثيرة منها نقص في معرفة أساليب العمل الصحفي وتقاليده، خاصة أننا أمام جيل جديد سوف يكون صحافيا بالفطرة الإلكترونية.

وأشاروا إلى أن الخطاب الإعلامي الديني العربي يحتاج إلى تجديده ومقابلة الفكر بالفكر، والحجة بالحجة في التعاطي مع الاضطرابات والمتغيرات المتلاحقة في المنطقة العربية، ومواجهة الفتن والحد من انتشارها وتقريب وجهات النظر، خاصة أن الاحصائيات تؤكد بأن المحتوى الديني بات يحتل مراتب متقدمة في المتابعة، إلى جانب المحتوى الترفيهي والسياسي، في ظل وجود ٥١ فضائية دينية عربية في العام ٢٠١١.

بدوره قال الشيخ محمد بن راشد نائب رئيس الإمارات وراعي المنتدى: إن عنصر الشباب مؤشر على التجديد، وإن منطقتنا تمر بتحولات عميقة، والإعلام جزء رئيسي من هذه التحولات، ومن سينجح في قيادة التغيير في قطاع الإعلام سيحجز له مكانا مهما في المستقبل "مهما كان حجم التغييرات في الإعلام، مبينا أن الحقيقة الثابتة هي أن ما ينفع المجتمع فكريا وثقافيا وتنمويا سيبقى والباقي ستطاله رياح التغيير.

استحضار الضمير المهني ومواثيق الشرف الإعلامية لضبط نزوع الإعلام إلى الفوضوية

لابد من وضع تشريعات تتلاءم مع مرحلة التغيير والنهوض في العالم العربي

وطالب المسؤولين والقيادات الإعلامية والصحافية بضرورة التمسك بالعادات والتقاليد واللهجات العربية المحلية حتى يتسنى للمواطن العربي الاحتفاظ والمحافظة على هويته الوطنية والقومية معتبرا أن اللغة العربية هي رمز الانتماء للعروبة وللوطن العربي الكبير وهي لغة القرآن الكريم.

من جهتها أكدت المديرة التنفيذية لنادي دبي للصحافة مريم بن فهد أن المنطقة العربية شهدت تغيرات جذرية خلال ال ١٨ شهرا الماضية، الأمر الذي أثر بشكل كبير في الإعلام في المنطقة، كون الإعلام العربي ليسَ مرآةً للواقع والأحداث فقط، وإنما هو في قلبها دائمًا وشريكٌ في صُنعها أحيانًا بخاصّة في زمن تكاثر الفضائيات، ومواقع الأخبار، والشبكات الاجتماعية، وصحافة المواطن، لذلك لم تكن دورة المنتدى لهذا العام لتَخرُجَ عن السياق العام في العالم العربيّ، سياق التغيّير والانكشاف.

من جانبه أكد د.فاروق الباز مدير مركز أبحاث الفضاء في وكالة ناسا، أن ١٢٠ مليون عربي، أي ما نسبته ٣٦٪ من العرب لا يعرفون القراءة والكتابة، داعيا إلى ضرورة أن يأخذ التعليم حيزًا أكبر لدى وسائل الإعلام العربية، التي أفردت الصفحات والساعات الطويلة، لامتداح الحكام وتجاهل الطبقة الفقيرة المطحونة وتدني مستوى التعليم في المنطقة، كما تجاهل الإعلام العربي مشكلات البحث العلمي.

وقال الباز: الشباب العربي متميز قادر على تغيير الخريطة العربية، كما أن باستطاعته التغلب على المشكلات التي تواجهها المنطقة، على عكس الجيل الذي أنتمي إليه، وأسميه الجيل الفاشل، نتيجة فشله في تحقيق تطلعات العرب، وأنا أقول لجيل الشباب: نحن أخطأنا في عملنا ونترك العمل لكم في الوقت الحالي، لذلك يجب أن تتحلوا بالعزيمة والصبر لتحقيق ما عجزنا عن تحقيقه نحن.

من جانب آخر قال وزير الإعلام الكويتي الأسبق سعد بن طفلة: إنه في الآونة الأخيرة ارتفعت المشاهد الإنسانية المؤثرة على

القنوات الإخبارية الناجمة عن الحروب والنزاعات والعنف، ومن الطبيعي أن ينقل الإعلام بمختلف مكوناته صورة الواقع المعيش، إلا أن الخارج عن سياق المألوف أن تنتقل فوضى الشوارع لتصل إلى أقلام بعض الكتاب والنُخب، فنقرأ آراء لا تخلو من العنف اللفظي، ونشاهد مشادات وتراشقًا إلكترونيًا تسوده روح الحقد والكراهية ولغة الشتم والتجريح والتشهير والتهديد، وامتد المشهد إلى البرامج الحوارية في الفضائيات والقنوات العربية، وشاهدنا المتحاورين يستخدمون الكراسي لأكثر من أغراض الجلوس عليها فقط! ليتحول الحوار على الهواء إلى مصارعة حرة!

في المقابل قال الإعلامي وائل الإبراشي إن الإعلام أصبح في السنوات الأخيرة هو المشكل الأساسي لوعي الناس سواء المهني أو الإلكتروني، كما أن الإعلام أصبح هو الملاذ الوحيد لحل المشاكل، قائلًا إنه لا مانع أن يتحول الإعلام إلى حلبة مصارعة تتصارع فيها الحجج والأفكار بشرط أن يفوز المشاهد مع الالتزام بالقواعد الأخلاقية والمهنية وألا يكون الصراع باللكمات لكن بالكلمات، مشيرًا إلى أنه لا يوجد حتى الآن ميثاق شرف إعلامي يضعه أصحاب المهنة.

بدوره أوضح المذيع في إذاعة بي بي سي، سمير فرح، أن ما تشهده حالة الحوار الإعلامي ربما يكون عدم نضج للاستماع إلى الآخر، أو ربما هي مرحلة مؤقتة يمر بها الإعلام العربي، لافتا إلى أن الصراع ناتج عن أن هناك أشخاصًا غير معتادين على المساءلة، وأشار إلى أن المذيع وفريق الإعداد عادة ما يريدون حوارًا ساخنًا يجذب الجمهور إلا أن بإمكان مدير الحوار تهدئة الأوضاع إذا خرجت عن الإطار.

وفي ضوء نتائج الإصدار الرابع من تقرير «نظرة على الإعلام العربي ٢٠١٢-٢٠١٥»، قام نادي دبي للصحافة وأبكو العالمية بإجراء مسح لرصد دور وتأثير الناطقين الرسميين باسم الحكومات الأجنبية. وشمل المسح استطلاع آراء نخبة من قادة الرأي في منطقة الشرق الأوسط لقياس أداء الناطقين الرسميين، ومدى تقبل الجمهور لبياناتهم باعتبارها ذات مصداقية وموثوقية.

وقال مأمون صبيح، المدير العام لشركة أبكو العالمية في المنطقة العربية: «تظهر

الخطاب الإعلامي الديني يحتاج إلى تجديد ومقابلة الفكر بالفكر والحجة بالحجة

جديد المنتدى: تقرير استرشادي حول الإعلام في ١٧ دولة عربية خلال الأعوام ٢٠١١-٢٠١٥

الدراسات والإحصاءات أن النسخ العربية من الفضائيات الأجنبية لا تستحوذ على نسب عالية من المشاهدة، مما دفعنا للبحث في كيفية مساهمة المتحدثين باسم الحكومات الأجنبية في هذا الاتجاه. وتشير أبحاثنا إلى أن الناطقين باسم حكومات أجنبية يمثلون جزءًا من المشهد الإعلامي العربي، فهم كثيرا ما يظهرون على وسائل الإعلام العربية، في البرامج الحوارية والقنوات الإخبارية».

وأظهرت الدراسة أن ٤٧٪ من عينة قادة الرأي العام العربي يفضلون أن يتقن المتحدث الرسمي غير العربي اللغة العربية، في حين أن ٤٤٪ يفضلون أن يستخدم المتحدثون الرسميون لغتهم الأصلية مع ترجمة باللغة العربية. وقال ٩٪ فقط أنه لا فرق لديهم.

ويوضح صبيح في هذا الإطار: «تشير هذه النتائج إلى أن الناطقين الرسميين ينبغي أن تكون لديهم القدرة على تقديم المعلومة باللغتين. وبينما نهتم بمعرفة تفضيلات اللغة في إيصال المعلومة، فمن الأهم أن نفهم كيف يقيم قادة الرأي العام العربي مصداقية المعلومة التي يتم تقديمها».

وتطرقت الدراسة إلى العلاقة بين عدد المرات التي يُذكر فيها بلد ما في وسائل الإعلام العربية ومصداقية تلك المعلومات، حيث أظهرت النتائج أن الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة تظهر بشكل متكرر في وسائل الإعلام العربية. وبالنسبة لمعظم البلدان، فإن هناك علاقة خطية بين عدد المرات التي تُذكر فيها البلدان ومستوى انتشارها بين الجمهور. وعلى الرغم من الظهور المتكرر للولايات المتحدة والمملكة المتحدة في وسائل الإعلام العربية، فإن المعلومات بشأنها أقل مصداقية من تركيا وفرنسا. ويوضح صبيح بالقول: «إن هيمنة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لا يمكن إنكارها، ومع ذلك، فإن العرب لا يولون نفس القدر من الاهتمام، وبالتالي فإن هذه الدول تواجه خطر أن تصبح مصادر غير موثوقة للمعلومات. من ناحية أخرى، تتمتع تركيا وفرنسا بوضع جيد يؤهلها للاستفادة من مصداقيتها».

وعلى هامش فعاليات المنتدى اتفق المتحدثون في ورشة عمل «نجوم تويتر وصدى التغريدات!!» أنه لا يمكن اعتبار تويتر معيارًا للتأثير، كما أن تويتر قد يكون سبق العالم العربي في الحوار، مؤكدين في الوقت ذاته أن المستقبل لمواقع التواصل الاجتماعي، حيث إن جذب مستخدمين إلى «تويتر» لتتبع ما يتم كتابته، يتوقف على تقديم ما هو مفيد، خاصة في ظل التضليل الإعلامي، الذي تعرض له جمهور بعض البلدان العربية، إلا أن تأثيره في الوطن العربي يبقى محصورًا على مستخدمي شبكة الإنترنت، كما يتوجب على المستخدمين النشطين الكتابة حسب لغة واهتمامات المتابعين لهم.

بينما تحولت ورشة العمل الثانية التي حملت عنوان «الشباب العربي.. أما آن أوان ربيعهم الإعلامي؟» إلى جلسة مقارنة بين الإعلام التقليدي والحديث، ومدى ملاءمة كل منهما لمواكبة التغييرات النفسية التي طرأت على المواطن العربي في ظل التطور التكنولوجي لأساليب الإعلام وأدواته، وضرورة الاستفادة من الشكلين من أجل الحصول على صيغة إعلامية تحافظ على الرزانة والدقة الموجودة في الإعلام التقليدي من جهة، وتستفيد من تطور التكنولوجيا واعتماد الشباب على الإنترنت في استقاء المعلومات من جهة أخرى.

بين الفقه والحركة

أحمد عبدالجواد زايدة
باحث في الأزهر الشريف

«ينبغي علينا أن نسترشد بالواقع في فهم النص؛ وأن نضيء الواقع بنور الوحي؛ لا أن نلوي أعناق النصوص من أجل خدمة الواقع؛ فيكون النص محكوما لا حاكما!». جُملة قالها لي أحد الأساتذة الكرام منذ ما يزيد على خمس سنوات ولا يزال صداها يتردد في أذني حتى الآن، ويثبت الواقع وتثبت الأحداث مدى حاجتنا إلى تأملها وتدبرها!

يقودنا هذا إلى سؤال: أيهما يكون أولا: الفقه أم الحركة؟ حركة الفكر أم فكر الحركة؟ بتعبير أستاذنا العلامة د.أحمد الريسوني- فأيهما سبق سبق! ومن كان له السبق حاز التوجيه! وهذه معضلة ينبغي على العاملين في العمل الإسلامي بمختلف مؤسساته وشتى مجالاته أن يتدبروها ويَصدموا أفكارهم وعقولهم بها! من أين ننطلَق وكيف نُحدد بوصلتنا؟ ومن أين نبدأ وما هي وجهتنا؟

أعني بالفقه (هُنا): الفقه بمعنى الصياغة الكلية وليس بمعناه الجزئي، إذ إن الأخير ما هو إلا أحد نواتج الأول الذي يتضمن «فقه الواقع- بمختلف علومه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وشتى العلوم الإنسانية» بالإضافة إلى «الفقه السنني» الذي يحتوي على سنن الله في قيام الأمم وسقوطها وقيام الحضارات وهبوطها وسنن الله في الأنفس والآفاق وسنن العمران بمختلف مستوياته «إذ إن هذه صناعة أخرى تبذل في تعلمها الأعمار وتؤلف فيها الأسفار»؛ ومن تدبر كتاب الله لمس ذلك وأدرك ماذا يعني ويقصد بالسير والتدبر والنظر في عواقب الأمم والأمر بذلك، وذِكرُ قصص بادَ وهلكَ أصحابها لأنهم خالفوا سنن العمران بالظلم والاستبداد في الحكم والطغيان «والظلم مؤذن بخراب العمران- بتعبير العلامة ابن خلدون- وهدمٌ لمقاصد الإصلاح المدني وأساسيات التمدن الإسلامي؛ كما حدث في قصة فرعون وهامان وقارون» استبداد في السلطة ونفاق في المشورة وكنز للثروة، بالإضافة إلى شعب استخفه حاكمه فرضخ! فكانوا «قوما فاسقين»؛ فعلمنا أن هذا هو مثلث الاستبداد «فرعون أشر؛ وهامان أبطر؛ وشعب رضخ للاستبداد وقبل بالذل»؛ .

وأضف إلى ما سبق من أصناف الفقه «فقه المقاصد، والمصالح والمفاسد، والمآلات»؛ وكذلك الفقه الجزئي الذي يهدف إلى تحقيق مصالح الناس والحفاظ على منظومة العدالة في حياتهم وتحقيق التوازن المجتمعي بين الطبقات وحفظ حقوق الناس ودفع المضار عنهم؛ لذا قلت في البدء إني أعني بالفقه هنا «الفقه» بمعنى الصناعة الكلية الذي يدخل تحته صنوف عديدة من الفقه بما يمكنه من صناعة الواقع؛ بل تغيير العالم!

أما ما عنيته بـ«الحركة» فأقصد بها مؤسسات العمل الإسلامي جميعها من شتى التيارات ومختلف الانتماءات وكل من يعمل من أجل تنزيل مقاصد هذا الدين في المجتمع وترشيد السلوك المجتمعي بما يحقق إخراج أمة الشهود عبر إخراج إنسانها المسلم بالمقام الأول!

ولا يقف «مدلول الحركة» ها هنا على مؤسسات المجتمع المدني والحركات الإصلاحية المجتمعية ولاسيما أن بعضًا منها قد أفضى به الحال إلى سُدة الحكم وموضع القيادة؛ فأصبحت المسؤولية جد خطيرة بحيث يصير الخطأ فيها.. خطيئة!

انطلاقا من هذا الهمّ ومن الشعور بخطورة هذه المسؤولية وإحساسا بغياب ملاحظة كارثية «هذه الفجوة الموجودة بين الفكر والفقه من جانب والحركة من جانب آخر» كانت هذه الكلمات.

هل تنطلق هذه الحركات- التي أصبح بعضها حكومات! وبعضها الآخر.. ينتظر! هل تنطلق من رؤى استراتيجية ناتجة عن عقول علمية يتم إعداداها لهذا ولديها مكنة الصناعة الفقهية الكلية- كما سبق توضيحه؟! .

أم أن الحركة تأتي أولا ويأتي الفقه والفكر ثانيا أو ثالثا؟! يأتي لا ليؤسس بل ليُبرر ويكيّف ويضرب الأعذار ويلتمس الحجج! ولا أدري لعمرُ الله أي فقه هذا الذي تصنعه الحركات ويدشنه الواقع؟!

هذا كلام ليس من محض خيال بل هو كلام من الميدان! من ميدان التجربة وواقع المعاناة وأمثلة حاضرة في الأذهان وواقعة في الأعيان ويكفي فقط تقليب النظر لرؤيتها!

لقد كنا ننتقد مرارا وتكرارا من يُسمّون بـ«فقهاء وعلماء السلطان» الذين يبحثون عمّا يريد الحاكم فيريدوا ما أراد؛ وينظرون أين يميل المستبد فيميلوا حيث مال! أمَا وقد بدأت الأمة تتخلص شيئا فشيئا من مثل هذه الظاهرة؛ فلا يليق ولا يصح أن ينشأ فقه جديد يأتي ليُطعم الصورة والمشهد من الخارج دون أن يؤسسه من الداخل ويقيم بنيانه من الجذور!

وما أرغب في ترشيده هنا أن يكون الفقه- كما سبق ذكره- والفكر- بمفهومه الشامل المتخصص في كل مجال- صاحب الأثر في صياغة الرؤية وصناعة الاستراتيجية وبلورة السياسات العامة.

إن حركة الفكر إذا سبقت فكر الحركة- وانعتقت من قيوده وأغلاله- استطاع أن يكون حاكما وموجها وحدث تقدمٌ بينٌ واختفى- بشكل كبير- الاضطراب والتخبط الحادث؛ وكان العاملون عاملين على بصيرة! أمّا إذا سبق فكر الحركة حركةَ الفكر لن تبرح الأهداف مكانها؛ وسنجد أنه مات الفقه وخمل الفكر وأصبحت الحركة مُستنزفةً للفكرة ساحبةً من رصيدها بل دمائها حتى تُجهز على حياتها!

ما أبدع توصيف العلامة الفقيد الشيخ د.فريد الأنصاري- رحمه الله- حينما تحدث عن بعض آفات حركات العمل الإسلامي فقال بأننا أصبحنا ننطلق من «العمران إلى القرآن» وليس من «القرآن إلى العمران»! فبعد أن نؤسس العمران نأتي لنُحليه بنكهة إسلامية وبنصوص قرآنية وحديثية؛ لكن أساس العمران بعيد عن ذلك تمام البعد! .. فهل من مُتدبر؟!

• ما طموحاتكم لتطوير مجمع اللغة العربية، بعد فوزكم برئاسته؟

– طموحاتي تكمن في إنجاز أعمال ثلاثة: المعجم الكبير، والمعجم التاريخي، وتكثيف الخدمات اللغوية الموجهة إلى الشبيبة العربية، أطفالًا وشبابًا؛ فإن الكهول قد تم تكوينهم، والشيوخ قد أدوا ما عليهم، والفئة الأولى هي صاحبة المستقبل، وهي المطلوبة في الأوضاع الثقافية والتعليمية الراهنة؛ وينبغي تسريع إصدار المعجم المصور، وإتباعه بمعجم الصورة والصوت، وتشجيع تأليف الكتب «المقررة» في فروع العلوم اللغوية (النحو والصرف والبلاغة والأدب) حسب المواصفات التي انتهت إليها لجان المجمع، عندما درست «العربية في التعليم ودور المجامع».

• وصفتم العولمة في تصريح لكم بأنها جائرة، فما الذي دعاكم إلى ذلك؟ وما رؤيتكم لمفهومها؟

– العولمة بالمفهوم الموضوعي هي ثمرة من ثمرات التواصل وثورة المعلومات وثورة الاتصالات، فأصبح العالم كما يقال قرية واحدة، فالأمور التي تثور في منطقة من المناطق لا تعني أصحابها فقط؛ لسببين: الأول، أنها تنتقل فور حدوثها، فلا يمكن الآن التكتم على أحداث محلية، السبب الثاني، أنها تؤثر في الآخرين، فعلى سبيل المثال الأزمة المالية العالمية، بدأت في الولايات المتحدة وانتقلت إلى مختلف أقطار العالم، فالعولمة بمعنى وحدة الاهتمامات العالمية وتحول المشاكل فور وقوعها إلى قضايا تهم أطراف أخرى حول العالم؛ هذا مفهوم إيجابي وتقدمي ويعتبر طفرةً في الفكر البشري.

أما العولمة التي نصفها بأنها جائرة فهي ليست بهذا المعنى المنشود، لكن باعتبار المفهوم الغربي الذي يعني تغليب ثقافة معينة ولغة معينة ومصالح معينة في أنحاء العالم، بحيث إن بعض اللغات المحلية تختفي، وبعض الثقافات تتأثر أو تضعف لحساب الثقافة الغربية، وبحيث إن شعبًا واحدًا هو الذي يتحكم في مصائر باقي شعوب العالم. هذا هو المفهوم الجائر للعولمة.

ولاشك في أنه على المستوى العلمي والأكاديمي هناك تشارك وتواصل بين مختلف الثقافات على مستوى العالم، لكن على مستوى الحرب والسلام وعلى المستويات العسكرية والإستراتيجية لها معنى آخر، هو تغليب مصالح الغرب وحلفائه على حساب الآخرين جميعًا؛ فأي ثقافة محلية في أي ركن من أركان العالم هي تراث للإنسانية ينبغي الحفاظ عليه وتنميته، وليس إضعافه. هذا هو الجانب الفاسد من العولمة الواقعية وليس العولمة المنشودة.

• وما أبرز ملامح خطتك للارتقاء بالمجمع؟

– الحقيقة يجب أن أبدأ بشكر السابقين؛ لأن المجمع يعمل بإخلاص طوال ١٢٠ عامًا وفق الإمكانات المتاحة له، وكانت مشكلته ضعف العلاقة بينه وبين المثقفين والجامعيين العرب والإعلام بوجه عام، لست أريد أن ألقي الكرة في ملعبكم؛ لأننا لا نملك الاتصال بالرأي العام، فقد كانت هناك نظرة جائرة إلى المجمع في فترة سابقة، وأعترف بأن المجمع مقصر في عقد الصلة مع مجتمعنا الثقافي ومع الرأي العام والإعلام بوجه عام، لكن في هذه الأيام أصبح الإعلام جزءًا من المنظومة الثقافية، ويسهم بشكل أو بآخر في القضايا الثقافية واللغوية والحضارية بوجه عام، لذلك نحن نريد عقد الصلة بين المجمع والمثقف العربي؛ لإعادة إنتاج المجمع بشكل مختلف.. ونحن لدينا عشرون لجنة علمية؛ واحدة في الأدب وثانية في الشريعة والعلوم الشرعية، وثالثة في الفلسفة وعلم الاجتماع وسائر العلوم الإنسانية ثم العلوم البحتة كالرياضيات والاقتصاد القياسي وهو استخدام الرياضة في علم الاقتصاد، والغرض من هذه اللجان كلها إحياء التراث، فاللغة ليست وعاءً فحسب لكن وعاءً ومحتوًى، كلمةً ومعنىً، ولا يمكن فصل المعنى عن الكلمات،

نحن نريد إحياء اللغة وتراثها القديم لخدمة اللغة المعاصرة. وكل يوم تُخلق مصطلحات جديدة لا يكاد يحصيها أي متخصص، فضلًا على مثقف عام، فهذه اللجان تتابع حركة العلم العالمية وتترجم المصطلحات الأجنبية شرقية أو غربية إلى اللغة العربية لكي يتعرب التعليم.

● وما دور المجمع في التصدي لظاهرة كتابة العربية بحروف إنجليزية؟

– فكرة قديمة عرضها أحد أعضاء المجمع وكان رجلا فاضلا، لكن لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة، فقد نادى بكتابة العربية بحروف أجنبية وشابهه طه حسين في بعض اقتراحاته، وأن اللغة العربية تكتب سماعية حسب السماع، لكن لا توجد لغة في العالم تكتب حسب النطق، فالكتابة تخضع لاعتبارات معينة وليس لمحاكاة ما ينطقه العامي في الشوارع، أميركا الآن تدرس في جامعاتها اللغة العامية والإنجليزية سماعية ويكتبون العربية كما تنطق، وهذه الطريقة تفسد اللغة وتقطع ما بين الدارس العربي وتراثه.

● يُعنَى المجمع بتحقيق كتب التراث.. فما الفائدة العلمية التي تعود على اللغة من ذلك؟

– الفائدة ضرورية وحيوية؛ لأن القرآن يفهم بالمعاني التي كانت زمن نزوله؛ لذلك المفسر والفقيه لابد أن يعرف الشعر الجاهلي، فهناك كلمات لا تفهم إلا في اللغة التراثية، واللغة العربية لغة محافظة ممتدة ليست كالإنجليزية واللاتينية التي ينشق عنها لغات أخرى وتحدث قطيعة بينها وبين التاريخ القديم للغة، ليست العربية كذلك إنما هي لغة واحدة وممتدة.

● قضية تعريب العلوم، وقضية تعليم الناشئة في مدارسنا للغة العربية، بعد مزاحمة اللغات الأجنبية لها، هل هناك اتجاه من مجمع اللغة لتعزيز تعلم العربية؟

– في الحقيقة سبق للمجمع في سنواته الثلاث الماضية أن درس ثلاث قضايا: اللغة العربية في التعليم، واللغة العربية في الإعلام، واللغة العربية ومنظمات المجتمع المدني، ومما أشرت إليه من التعريب وغيره، فالواقع أن المقترحات والمشاكل التي نعاني منها قد دُرست في المؤتمرات الثلاثة، وخاصة التعليم الأجنبي الخالص، نحن لسنا ضد تعلم اللغات الأخرى، بل إن العربية في أعز أيامها وأقوى أوقاتها كانت وثيقة الصلة باللغات الأخرى، خصوصا في أيام الخليفة المأمون، ومن بعده منذ القرن الرابع الهجري، وكانت تُعد اللغة العلمية الأولى في العالم، إلى الحد الذي كان باباوات روما، إذا أرادوا أن يتصلوا بالفكر العالمي فإنهم يتعلمون العربية، وحتى الآن ما تزال إمضاءات بعض الباباوات على هوامش الكتب العربية القديمة مخطوطة وباقية.

فالعربية كما قلتُ كانت لغة العلم والثقافة والفكر في العالم، لكن الآن كما نعلم لا يقتصر الأمر على تعلم اللغات الأخرى واعتبارها نوافذ لتخصيب وإغناء العربية، وإنما هي احتلال للعقول العربية.

وأذكر شكوى قدمها أحد أعلام الفكر في مصر قبل الخمسينيات، واسمه الأستاذ محمد علي علوبة باشا، وكان رئيس لجنة فلسطين مرتين، هذا الرجل يقول في مذكراته: «إنني فوجئت أن حفيدتي لا تعرف شيئًا عن اللغة العربية، وهي تحفظ أناشيد ترددها في طابور الصباح بلغات أخرى، وبعض هذه الأناشيد ذات طابع ديني غير إسلامي، ولا تعرف من سور القرآن الكريم شيئًا»، ثم قال: «هذا ليس تعليمًا وإنما هو احتلال للعقلية العربية»، هذا الرجل ليس شيخًا ولا من الظلاميين أو الرجعيين؛ وإنما هو رجل مشهود له بالاستقلالية، وهو أحد زعماء الفكر والتنوير العرب.

● هل تطالبون بإلغاء هذه المدارس الأجنبية، التي تعلم الناشئة اللغات الأخرى، بينما تهمل اللغة الأم؟

– لا، نحن نحذر من هذه المدارس الأجنبية، ليس لإغلاقها وإنما لإعادة ما صنعته الدولة المصرية عام ١٩٥٧م

بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، عندما ألزمت المدارس الأجنبية أن تدرس اللغة العربية، وأن يكون هناك قسم خاص للغة العربية، وليس كما هو معلوم أن تكون حصة اللغة العربية ومادة الخط العربي هي الحصة الأخيرة في اليوم السابع؛ وأعتقد أن هذه القرارات لم تُنسخ، ولكنها ككثير من قراراتنا تُتجاهل، والقانون لا قيمة له ما لم يُنَفّذ، فنحن نعتقد أننا يجب أن نؤكد على تعلم اللغات الأخرى لإغناء لغتنا وخدمتها، كما كان هو الحال أيام قوتها وعزها.

هذه العقيدة أو الخلفية هي التي ينطلق منها المجمع في موقفه من هذه المدارس، وينبه إلى خطرها على الوجدان القومي وعلى الشعور الديني وعلى اللسان العربي لدى هذه الطائفة الكبيرة من شبابنا وبناتنا الذين سيحكموننا في المستقبل؛ فلابد أن يحس الجميع بالأخطار الحقيقية التي تتهدد لغتهم ولسانهم وتراثهم؛ ليس هذا فحسب، وإنما وحدة النسيج الاجتماعي في مصر.

● الحوار من جانب الأزهر الشريف متوقف مع «الفاتيكان»، هل هناك محاولات لتقريب وجهات النظر، أم أن قرار الأزهر نهائي لا رجعة فيه؟

– وقف الحوار الرسمي كانت له أسبابه التي لم تتغير، وليس السبب فيها راجعًا إلى الأزهر، بل إلى الطرف الآخر، إلا أن الحوار مستمر على مستويات كثيرة غير قيادة الفاتيكان، مع كل الطوائف المسيحية في الداخل والخارج، وقد شاركت شخصيًا خلال العام الماضي في مؤتمرات بألمانيا وإيطاليا مع قوى وجمعيات كاثوليكية باسم الأزهر، وأوضحت الدواعي التي أدت إلى موقف الأزهر تعبيرًا عن مشاعر المسلمين، لما كان من مواقف الفاتيكان، ولا يمكن للأزهر أن ينعزل عن الحوار والحراك الدولي الذي يؤثر على مصائرنا ضمن الجماعة البشرية.

مجمع اللغة العربية في سطور

أسس مجمع اللغة العربية في القاهرة في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م، وذلك في عهد الملك فؤاد، وبدأ العمل فيه سنة١٩٣٤م.. وترأسه لأول مرة الأستاذ محمد توفيق رفعت، ثم الأستاذ أحمد لطفي السيد، ثم الأستاذ الدكتور طه حسين، ثم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور، ثم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، ثم الأستاذ الدكتور محمود حافظ، ثم تولى الدكتور حسن عبداللطيف الشافعي رئاسة المجمع في فبراير ٢٠١٢؛ ليصبح أول أزهري يعتلي ذلك المنصب.

وقد نص مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية الذي أصدره الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٢م على أن يتكون المجمع من ٢٠ عضوًا من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية، نصفهم من المصريين، ونصفهم الآخر من العرب والمستشرقين؛ وهو ما يعني أن المجمع عالمي التكوين، لا يتقيد بجنسية معينة ولا بدين معين، وأن معيار الاختيار هو القدرة والكفاءة، عشرةٌ من المصريين، وعشرةٌ من العرب والمستعربين. ويقع مقر المجمع في ١٥ شارع عزيز أباظة بالزمالك.

وحددت أهدافه في المادة الثانية ببذل الجهود للحفاظ على اللغة العربية وجعلها وافية بحاجات العلوم والفنون وشؤون الحياة في العصر الحاضر، والعناية بدراسة اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها من أقطار العرب وبلدانهم، واتخاذ كل الأسباب لتقدم العربية.

وقد ورد في المادة الرابعة من المرسوم أن المجمع يتكون من عشرين عضوًا عاملًا من بين العلماء المعروفين بتعمقهم في اللغة العربية أو ببحوثهم في فقهها ولهجاتها دون تقيد بالجنسية كما صنعت الأكاديمية الفرنسية، وكما صنعت المجامع العربية السالفة إذ قصرت العضوية العاملة على أبناء أوطانها.

ولقد كانت أسماء الأعضاء العشرين الذين بحثوا آنذاك هي: محمد توفيق رفعت، ود. منصور فهمي، والشيخ حسين والي والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ أحمد الإسكندري وعلي الجارم وأحمد العوامري ود.فارس نمر وحاييم ناحوم، والمستشرق الإنجليزي جب والألماني د.فيشر، ونلينو الإيطالي، وماسينيون الفرنسي، وفنسنك الهولندي، ومحمد كرد علي والشيخ عبدالقادر المغزي، والأب أنستاس ماري الكرملي، وعيسى إسكندر المعلوف، وحسن عبدالوهاب.

وقد أصدر المجمع العديد من البحوث والمحاضرات والمذكرات والقرارات في تبسيط قواعد التصريف والاشتقاق وأحكام مقاييس التعريب والنحت والتوليد.

كذلك أصدر المعجم الكبير، والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز، ووضع معاجم علمية متنوعة للجيولوجيا وللفيزياء النووية والإلكترونيات، وللجغرافيا، والفلسفة، ووضع معجم لألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون.

وشارك المجمع في إحياء بعض ذخائر التراث اللغوية ليتخذ منها عونا على مهمته من وضع المعاجم الكبرى والصغرى، وقد نصت المادة الثالثة من مرسوم إنشائه على أن: «ينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازما لأعمال المعجم ودراسات فقه اللغة». وهو ما جعله يعنى في سنة ١٩٥٧ بتكوين لجنة لإحياء التراث القديم بالتعاون مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في وزارة الثقافة.

وأخذت اللجنة تعد العدة لتحقيقها مرتبة أولويتها على هذا النمط:

١– «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي» للحازمي.
٢– «التكملة والذيل والصلة» للصغاني.
٣– «ديوان الأدب» للفارابي.
٤– «كتاب الجيم» لأبي عمرو الشيباني.
٥– «كتاب الأفعال» للسرقسطي.
٦– «كتاب فيما تفرد به بعض أئمة اللغة» للصغاني.
٧– «كتاب الإبدال» لابن السكيت.
٨– «التنبيه والإيضاح» المشهور باسم حواشي ابن بري على معجم الصحاح للجوهري.
٩– «غريب الحديث» للقاسم بن سلام.

الناس عنها، فليس في الأمر إيجاد لها على غير مثال سابق.

ولذلك فإن كاتب السطور يميل إلى تقسيم البدعة إلى قسمين: دينية ودنيوية، والبدعة في الدين مرفوضة لأنها تعد زيادة في الدين من دون أصل شرعي، أما البدعة الدنيوية فهي مقبولة إذا كانت تهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ولا تتعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهذا هو الإبداع المسموح به شرعًا والذي يقبله الدين، ويدخل في بابه الإبداع العلمي والإبداع الفكري والإبداع الأدبي والإبداع الفني الذي يهدف إلى معالجة بعض قضايا المجتمع.

من هنا كانت «البدعة هي اختراع شيء يضاف إلى الثوابت الدينية التي لا تستدعي اضافات لها، أما الإبداع في كل ما يتعلق بالشؤون الدنيوية والدولة والمشروع الحضاري، فهذا وارد».

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يرددون فيه حديث رسول الله ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يردد هذا الحديث يقول للناس: «لا تقفوا بأبنائكم عند علومكم، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم!، وكان يقول في المال، لقد كان لأبي بكر رأي في هذا المال، ولي فيه رأي آخر، ولما قال له الناس طبق السنة العملية لرسول الله ﷺ في قسمة أرض خيبر على أرض الشام والعراق ومصر، قال: إننا نحن الآن أمام واقع جديد ولابد أن يكون لنا اجتهاد جديد، إذا كان هناك تمييز واضح بين الإبداع في شؤون الدنيا، وكان هذا مطلوبًا وفريضة على المسلمين، وأمرًا مسموحًا به، وبين البدعة في الثوابت الدينية في الوضع الإلهي، الذي ليس هناك إمكانية لاستقلال العقل البشري بإدراك كنهه، إذن الفارق ما بين الإبداع والبدعة في التصور الإسلامي فارق واضح» (٨).

الإسلام والإبداع

من ثم نستطيع أن نخلص إلى أن الإسلام الحنيف قد فتح باب الإبداع على مصراعيه إذا كان الأمر يتعلق بأمور الدنيا والمشروع النهضوي للأمم والشعوب، وإذا كان يرتبط بتطوير حياة

البدعة الممنوعة هي اختراع شيء يضاف إلى الثوابت الدينية أما الإبداع في الشؤون الدنيوية فهذا وارد

البشرية أو تحسينها، بل إن ديننا قد جعل ثوابًا كبيرًا وأجرًا عظيمًا لمن ييسر على الناس أمور حياتهم بأي سبيل من سبل التيسير كمن يقدم للبشرية دواء جديدًا لمرض معين أو من يصل إلى كشف علمي مفيد أو عمل فني يواجه به الانحرافات أو عمل أدبي ترتقي به الأذواق وتستمتع به النفوس.

ولقد أكد الإسلام الحنيف كل تلك المعاني والقيم لأنه يريد للبشرية أن تنمو وتتطور مجتمعاتها طبقًا لسنن الله في تطوير هذا الكون، ولأنه يريد أيضًا للمجتمعات البشرية أن تحيا حياة هانئة مطمئنة سواء على المستوى الجمعي العام أم على مستوى الذوات الإنسانية المفردة التي يتكون المجتمع الإسلامي من مجموعها، «ومن هنا عني الإسلام عناية كاملة بالإرشاد إلى الوسائل التي تطهر المجتمع من الجهل، والتي تطهره من المرض، فهو قد حارب الجهل وتتبعه في كل وكر من أوكاره وفي كل لون من ألوانه.. حارب جهل الشرك بالتوحيد، وبث في النفس والآفاق دلائله، ولفت الإنسان إليها وحث على النظر والتفكير فيها، وحارب جهالة التقليد وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره، وأن يقف في عقائده ومعارفه، ووسائل الحياة عندما خلقه الآباء والأجداد من الأوهام والخرافات» (٩).

وننتهي في هذا السياق إلى أن الذين يعارضون المشروع الحضاري الإسلامي يفتقدون الدقة عندما تذهب أدبياتهم إلى الزعم بأن الإسلام يقف حجر عثرة أمام الإبداع الإنساني، منطلقين في زعمهم هذا من رفض الدين الإسلامي الحنيف للبدع، تلك القضية التي قد يلتبس فهمها على كثير ممن لم يدرسوا الفكر والثقافة الإسلامية دراسة واعية متعمقة.

الخلاصة

والحق أنه إذا جاز الزعم على بعض تيارات الفكر والثقافات الدينية المغايرة بأنها تقف في وجه الإبداع بنسب مختلفة ومتابينة فإن ذلك لا ينطبق بشكل من الأشكال على المنظومة الفكرية الإسلامية التي فتحت باب التفكير والاجتهاد والإبداع على مصراعيه عندما أقرت بأن من اجتهد وأصاب يحصل على أجرين ومن اجتهد وأخطأ يحصل على أجر واحد، خلافًا للمنظومات الفكرية التي تعاقب من ينتج فكرًا أو ثقافة أو إبداعًا ترى فيه مخالفة لأطروحاتها وتوجهاتها الأيديولوجية، وما موقف الرأسماليين في الولايات المتحدة الأميركية من مواطنيهم الاشتراكيين ببعيد، وكذلك فإن موقف الشيوعيين من مواطنيهم الذين يميلون إلى الرأسمالية هو موقف عدائي بالدرجة الأولى، حدث كل هذا في العصر الحديث في الوقت الذي أعلن فيه الإسلام منذ خمسة عشر قرنًا قوله للمخالفين: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون: ٦).

ولعل أسهل الردود على من يتصور أن الإسلام يقف حجر عثرة أمام الإبداع هو: لو كان الأمر على هذا النحو ما أنجز المسلمون الأوائل حضارتهم التي أدهشت الدنيا وعلمت الناس.

الهوامش

١- المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية- القاهرة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ص ٤٠.
٢- الموضع نفسه.
٣- الموضع نفسه.
٤- القرطبي- تفسير القرآن- دار الريان للتراث- القاهرة- ج١- ص ٤٧٤- وينظر في ذلك ابن كثير- دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- ج١- ص ١٦١.
٥- النسائي.
٦- القرطبي- تفسير القرآن- ج١- ص ٤٧٤.
٧- رواه النسائي وحسنه الألباني.
٨- د. محمد عمارة- حوار الإسلامية والعلمانية- الأزهر- القاهرة- صفر ١٤٣٣ هـ/ يناير ٢٠١٢م- ص ١٣٥.
٩- محمود شلتوت (الإمام الأكبر)- من توجيهات الإسلام- دار الشروق القاهرة- الطبعة الثامنة- ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م- ص ١٢١ .

كما جاءت أحاديث النبي ﷺ، التي تُبشّر بانتصار الإسلام، وأنه سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وما من بيت مدر ولا وبر - أي: بيوت المدن، وبيوت البادية- إلا وسيدخله الإسلام، وأن المسلمين سينتصرون على اليهود في آخر الزمان، بعد قتال شديد يختبئ فيه اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله.. وكذلك أحاديث أمارات اقتراب يوم القيامة، والنذر الدّالة عليه؛ مثل: تبدل الأحوال، وانقلاب الموازين، وولادة الأمَة ربتها، وشيوع الفواحش، وانتشار الظلم، وضياع الأمانة.. جاءت هذه الأحاديث لتجعل أمام العقل المسلم صورة حاضرة لاحتمالات المستقبل، ومآلات الأحوال، ولتحثه على اجتناب ما يمكن أن يتسبب له في أزمات وعثرات، وتدفعه أيضًا لما يتعين عليه فعله لمواجهتها ودفع ضررها.

العقلية «الاتكالية» حبيسةُ الماضي

لقد مرّت أمتنا الإسلامية بالكثير من الأزمات المتلاحقة والمتشابهة؛ بدءًا من الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، والصراع الحاد بين الأمويين والعباسيين، وما تأسس عليه من الاختلاف المذهبي البغيض، مرورًا بسقوط الخلافة الإسلامية في بغداد، ثم زوال دولة الأندلس بعد صراع الطوائف، ودسائس الملك العضوض، حتى سقطت الخلافة العثمانية، وتحولت الدولة الإسلامية إلى دويلات مفككة، تتناحر فيما بينها ولا تقوى أمام الأخطار الخارجية المتربصة، التي تستهدفهم جميعًا دون استثناء.. وغير خاف على أحد أن السقوط الثاني للخلافة الإسلامية كان مقدمة لما نعانيه اليوم؛ من تفرّق الكلمة، وتشتت الصّف، وضياع الهوية، والاستجابة لمحاولات التغريب والعَلمَنة، وذوبان الشخصية المسلمة في موجات الحداثة والعولمة.

ومع كل هذه الأزمات، التي أخذ بعضها بأيدي بعض، ونقلتنا من سيئ إلى أسوأ، لم نجد مَنْ يحسن دراستها، والوقوف على أسبابها، واستخلاص العبرة منها، بل غفلنا عن إدراك سنن الله الثابتة في نهوض الأمم وسقوطها، وسادت «العقلية الاتكالية»، العاجزة عن رؤية الأزمة في جذورها وأصولها، وانتشرت نظرية «المؤامرة»، التي ترمي بالمسؤولية الكاملة على الآخرين دون توجيه النقد إلى الذات، مع أن الضعف الذاتي- أو القابلية للاستعمار كما يسميه مالك بن نبي- يشكل العامل الأساسي لقبول التأثير من الآخرين، والتجاوب مع مؤامراتهم ومخططاتهم..

ولهذا كان القرآن حريصًا على لفت الأنظار إلى أهمية «العامل الذاتي»، سواء في تحقيق النصر أو حدوث الهزيمة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

ولم يكن بمقدور هذه «العقلية الاتكالية» أن تتعاطى بفهم وعمق مع ما يعتورها من نكبات، وما يصيبها من أزمات، حتى تطمئن إلى عدم الوقوع مرة ثانية في نفس الحفرة، ولا تُلدغ من جحر واحد مرتين (١)، بل عميت عن عبرة الأحداث، وتغافلت عن قراءة التاريخ، الذي من الممكن أن يتكرر إذا ما توافرت الدواعي والأسباب التي كانت من وراء حدوثه أول مرة.. وبذلك فقدَ العقل المسلم أولَ شرط لازم لاستشراف المستقبل ألا وهو «حسن قراءة التاريخ»، واستيعاب أحداثه، بما فيها من انتصارات وانكسارات، واستصحاب العبرة منهما للحاضر والمستقبل.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إننا لم نحسن دراسة ما أصابنا من هزائم فادحة، وما أقمنا حواجز ضد تكرارها، ولا يزال ناس منا مشغولين بأنواع من المعرفة لا تضر عدوًا ولا تنفع صديقًا، وتيار الأحداث الزاخر يلطم الوجوه، ويطوي جماهير بعد أخرى، ونحن لا نربط النتائج بأسبابها، وما فكرنا في دراسات ذكية جريئة لمعاصينا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا أدري: لماذا الخشية أو لماذا الجمود؟ هل مستقبل أمة من مليار إنسان شيء هيّن؟ هل النكسات التي عرت رسالتها غير جديرة بالتأمل؟!» (٢).

ولذا كان من أعظم آفات المسلم الخطاب الإسلامي المعاصر، لأنه يستنفد طاقاته في التغني بأمجاد المسلمين، وحضارتهم، التي سادت الدنيا لعدة قرون، ونشرت العلم والمعرفة، وأرست قواعد المنهج التجريبي، الذي مهّد لقيام الحضارة الغربية الحديثة بعد عصورها المتتابعة من الظلام

قصة الحرب الإلكترونية

محمد شعبان أيوب
صاحب مدونة ابن أيوب

يكفي أن تضع في محرك البحث «جوجل» مصطلح «الحرب الإلكترونية» لتجد أمامك «الويكيبديا» تُعرف هذا المصطلح الجديد بما يلي: «هو استعمال الطيف الكهرومغناطيسي لمنع استعمال هذه الوسيلة من قبل الخصم، في حين يتم استخدامها من جانب القوات الصديقة بأكثر الطرق فعالية. للحرب الإلكترونية ثلاثة عناصر رئيسية: الدعم الإلكتروني، والهجوم الإلكتروني، والحماية الإلكترونية»؛ ولا تزيد أكثر من ذلك.

على أن ما ذكره الباحث في الشؤون الاستراتيجية والحربية عبدالكريم المحسن يجلي لنا بوضوح تعريف هذا المصطلح بقوله: «هو مجموعة الإجراءات التي تُنفذ بهدف الاستطلاع الإلكتروني للنظم والوسائل الإلكترونية المعادية، وإخلال عمل هذه النظم والوسائل الإلكترونية، ومقاومة الاستطلاع الإلكتروني المعادي، وتحقيق استقرار عمل النظم الإلكترونية الصديقة تحت ظروف استخدام العدو أعمال الاستطلاع، والإعاقة الإلكترونية». وهو يضيف بعدًا أكثر عمقًا من مجرد التصارع في إطار الفضاء اللاسلكي أو المجال الكهرومغناطيسي.

النشأة والتطور.. منذ بداية القرن العشرين.

ولمعرفة أصل هذا المصطلح علينا أن نبحث في تاريخ نشأته الأولى، وهو ما ظهر قبل الحرب العالمية الأولى، إذ بدأت الاتصالات بين أرجاء العالم المختلفة باستخدام الموصلات السلكية عن طريق جهاز البرق الصوتي «المورس» سنة ١٨٣٧م، ومنذ اندلاع الحرب الأهلية في الولايات المتحدة في إبريل سنة ١٨٦١م كانت خطوط التلغراف هدفًا مهمًّا للقوات المتحاربة.. إذ كان عمال الإشارة

الإسلامية إلى أروبا، بل كانت هناك طرق ومعابر أخرى اتصل عن طريقها الأوروبيون، فهناك الأندلس التي استقر فيها العرب حوالي ثمانية قرون بلغت فيها الحضارة أوجها وأصبحت مدنها مراكز إشعاع حضاري يأتي إليها طالبو العلم من جميع أنحاء العالم، فهذه قرطبة «Corduba» أو«Cordoba» يحج إليها أحد بابا‌وات روما ويمكث فيها سنوات يتعلم ثم إشبيلية (Sevilla) أو (Hispalis) وغرناطة «Granada» وطليطلة «Toledo» التي أضيئت شوارعها بـ«الفوانيس» وأدخلت إليها المياه والحمامات العامة وعرفت «العزل الصحي» فكان الوافد إلى هذه المدن يُعزل لمدة ثلاثة أيام ليُتأكد من خلوه من الأمراض المعدية كما يتوجب عليه الاغتسال في «حمام عام» وينزل في «نزل» (فندق) INN. وسبقت الإشارة إلى جزيرة «صقلية» وجنوب إيطاليا التي فتحت على يد دولة الأغالبة، ومن مدنها «بليرمو» Paleromo عاصمة صقلية اليوم ومسني Messine وسرقوسة سيراكوز Siracusa وباري «Bari» ثم ساليرنو «Salerne» التي عرفت أول مدرسة للطب ما تزال إطلالها باقية إلى اليوم كما عرفت صقلية «دار الطراز»، وهي بمعناها اليوم دار الأزياء يزورها ملوك وأمراء أوروبا لحياكة ملابسهم وتطريزها بخيوط الذهب والفضة.

ومن الطرق المهمة التي ساعدت على نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا هو تبادل التجارة بين الشرق والغرب- من مصر والشام- التي يصفها ابن خلدون في مقدمته ص٤٥٣ «ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع».

وقد اغتنى التجار السماسرة الأوربيون من هذه التجارة وأثروا ثراء فاحشا خصوصا أصحاب السفن من تجار جنوه Genova والبندقية Venezia ونابولي Napoli وفلورنسا Florenze وهذا السبب الذي جعل «عصر النهضة الأوربية Renaissance يبدأ من إيطاليا القريبة من ديار الإسلام».

القائمة طويلة

وإذا كنا سنقتصر في دراستنا هذه على الصناعة التي تفوق فيها المسلمون ونقلت إلى أوروبا عن طريق تلك المعابر والسُبل السابق ذكرها.. سنجد أن القائمة طويلة يصعب حصرها.. ولما كانت أهم حاجات الإنسان في بداية عصر الدولة الإسلامية هي الملبس والمأكل فقد نشطت صناعات النسيج والأقمشة والسجاد والبسط وصناعة السكر ثم صناعة الزجاج والصابون والثلج والبارود، والسفن بأنواعها التجارية وصيد ومعقدات الفاكهة (المربيات) Jam لوفرة الفاكهة في ديار الاسلام منها الأترج- النارنج- والخوخ والمشمش والقرع والجزر والبلح ونحوها.. وصناعة طحن الحبوب في مطاحن مائية أو هوائية انتشرت في سائر أنحاء العالم الإسلامي وصناعة تجفيف السمك، أما صناعة العطور فقد نشطت وازدهرت في فارس والعراق وصار إقليم «سابور» في فارس كأنه باريس اليوم في شهرته بإنتاج العطور من زهور البنفسج والنرجس والسوسن والزئبق والمرسين والنارنج، أما مدينة «جور» في جنوب فارس والتي ينسب إليها الورد الجوري والذي استوطن دمشق والشام فيما بعد فكانت تصدر «ماء الورد» إلى المغرب والأندلس ومصر واليمن والهند والصين.

وفي المتحف الإسلامي بالشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة ركن خاص لمصنوعات ومجسمات معدنية لأدوات طبية استخدمها أشهر أطباء المسلمين، وركن آخر للسجاد بنقوشه ورسومه الجميلة وركن ثالث لأجمل المسكوكات والنقود المعدنية الذهبية والفضية والنحاسية لعصور إسلامية مختلفة، لقد انتشرت «دور الضرب» أو «دور السكة» في جميع أنحاء العالم الإسلامي واستعانوا بخبرة الساسانيين من الفرس والبيزنطيين وصار منصب «ناظر السكة» من المناصب المهمة في الدولة الإسلامية وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة الذهبية ووحدتها «الدينار» والعملة الفضية وحدتها «الدرهم» والكلمتان مشتقتان من العملة الإغريقية القديمة «دناريوس» و«دراخما»، أما العملة النحاسية فكانت وحدتها «الفلس».

أما الصناعات الخشبية والحفر على الخشب والذي اكتسب اسم الأرابيسك (Arabisc) اشتهرت به مصر والباكستان والهند من أخشاب الساج والأبنوس والزان والعرعر وغيرها ولاتساع الموضوع وشموليته الصناعة في الحضارة العربية الاسلامية سنقصر دراستنا على بعض الدراسات والصناعات التي أثر على أوروبا وهي صناعة النسيج، صناعة السكر.

صناعة النسيج

لما كانت حاجات الإنسان قديما وقبل الإسلام تكاد تنحصر في مطلبين أساسيين هما المأكل والملبس فقامت شعوب هذه المنطقة بصناعة حاجتها من الملبس مما توافر لها من مواد خام لهذه الصناعة فقد عرف المصريون

المرتبطة بالنسيج ومنها الصباغة، فقد كانت النيلة القرمزية التي تستعمل للتلوين بالأزرق فهي نبات أدخل من الهند إلى ما بين النهرين واليمن والمناطق المنخفضة في أغوار فلسطين وسورية، كما استخدم الزعفران في التلوين بالأصفر وورد النيل أو العظام للتلوين بالأحمر، ويعرف صاحب هذه الحرفة بـ«الصباغ».

وصاحب تكاثر وتنوع الخامات والمواد الأولية النسيجية ومواد الصناعة تقدم في تقنيات الصناعة فعرفت أنوال ذات سدى أفقي، وأخرى ذات سدى عمودي ثم النول ذو الدواسة نقلوه عن الصين، واستخدم النول مع المكوك الطيار في صناعة السجاد.

صناعة السكر

لم تعرف أوروبا المذاق الحلو إلا من عسل النحل أو السكر الذي تحتوي عليه ثمار الفواكه كالعنب والتفاح وغيرها، وكان استخدام العسل قاصرا على الطبقة المترفة لارتفاع سعره وقلة الكميات المنتجة منه! وكان السكر الذي يعرف باسمه العربي في لغات العلم- بالإنجليزية «Sugar» وبالفرنسية «Suere»- مأثرة أخرى من مآثر المسلمين على دنيا الحضارة. «ومع أنه ليس اختراعا عربيا.. إلا أن أياديهم البيضاء في تطوير صناعته ونشره لا يمكن أن تنكر». يعتقد أن الموطن الأصلي لنبات قصب السكر هو الهند ثم نقله الفرس أول مصنع له في «جُند بسابور» وانتشرت زراعة السكر ومعامل تكريره في سورية ومصر وفلسطين وقبرص وبحر قزوين وصقلية وإسبانيا، وكانت مصر الأسبق في تحسين هذه الصناعة، وصنعوا من السكر نوعا من الحلوى سميت «قنده» حرفت باللغات الأوروبية إلى «Candy» وظلت هذه المناطق العربية والإسلامية المصدر الأساس للسكر في العالم الإسلامي وأوروبا- حتى القرن السادس عشر الميلادي، وكانت الأندلس (إسبانيا) وصقلية من أهم المعابر التي عبرت منها صناعة السكر الى أوروبا! فقد ذكرت المصادر أن الإغريق في غزوهم لفارس والهند عرفوا نبات قصب السكر ووصفوه بأنه «ضرب من القصب المدهش ينتج نوعا من العسل بدول تدخل النحل».

ما أنجزه هؤلاء المبدعون الأقدمون هو الذي أوصل إنسان العصر الحديث إلى ما وصل إليه

نقل البحار- الملاح- دون أنريك زراعة قصب السكر من صقلية إلى جزر مادييرا عام ١٤٢٠م ثم تبعه كريستوفر كولومبس مكتشف العالم الجديد (أميركا) فأدخل زراعة قصب السكر إلى جزر الدمينكان في رحلته الثانية إلى هناك عام ١٤٩٣م ثم انتشرت زراعته في وسط أميركا (كوبا خصوصًا وجنوبها البرازيل)، وأصبح السكر تجارة دولية رائجة، وكان أول مصنع لتكرير السكر في أوروبا قد أسس في عام ١٥٧٣م في مدينة «أوجسبرج» وتلاه مصنع آخر في «درسدن» بألمانيا عام ١٥٩٧م.

وقد ارتبطت بصناعة السكر صناعات أخرى كثيرة أهمها صناعة الحلوى في العالم الإسلامي خصوصًا عصر الدولة العباسية وعصر الدولة الفاطمية التي كانت توزع الحلوى في عيد الفطر وعيد الأضحى وكانت توزع «قراطيس سكر القند» على العامة إذا ما رزق الخليفة بغلام وليا للعهد، ومن أنواع الحلوى التي كثر الحديث عنها وكتبت فيها الأشعار للخلفاء: الفالوزج واللوزينج والخشاف والجلاب والفطير والهريسة، وكانت جميعها أساسها السكر والدقيق والسمن.

كما عرف المسلمون «دبس القصب» المولاس Moulase ويطلق عليه في مصر العسل الأسود «دبس العنب» و«دبس الخرنوب» و«دبس الرمان» وهي مواد أساسية في عشاء ليالي الشتاء البارد في بعض المناطق.. ولما قام نابليون بونابرت بحملته الشهيرة على مصر عام ١٧٩٨م كان من أهدافه قطع الطريق بين بريطانيا العظمى في ذلك الوقت ومستعمراتها في الشرق خصوصا جوهرة التاج البريطاني (الهند) وصنع السكر من نبات آخر هو البنجر «Beets» وحسنت أنواعه، ورفعت نسبة السكر فيه وتمكنت العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) من استخلاص السكر من «تمر النخيل» إلا أنه كان «يتميأ» بسرعة ويصبح لزجا سريع العطب إذا تعرض لرطوبة الجو لذا بقي استخدام سكر التمر قاصرًا على صناعة الحلويات والمياه الغازية هناك.

وبعد، لا ينكر فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا إلا جاحد أو لئيم، ففي كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والفنية وغيرها نجد مآثره للمسلمين، وإن ما أثلج صدري وأنا اقوم بهذه الدراسة وفرة المصادر والمراجع التي وقعت عليها- عربية وغير عربية- بل تخصص البعض في الكتابة عن فن العمارة الإسلامية فقط وآخر عن الطب وأدواته، وهكذا إن ما أنجزه هؤلاء المبدعون الأقدمون هو الذي أوصل إنسان العصر الحديث إلى ما وصل إليه.

المراجع

١- الإسلام في عظمته الأولى: موريس لومبار- ترجمة ياسين الحافظ دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- ١٩٧٧م.

٢- تاريخ العرب: فيليب حتى وإدوارد جرجي وصيرائيل جبور- دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ١٩٧٤م.

٣- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى- د.عبدالمنعم ماجد- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٩٦م- ص٢٦٧.

٤- الحضارة العربية الإسلامية: د.إبراهيم سلمان الكروي- مركز الإسكندرية للكتاب ١٩٩٩م.

٥- الحضارات: لبيب عبدالستار- دار المشرق- بيروت ١٩٩٩.

٦- علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الانسانية: د.أحمد مدحت إسلام- دار الفكر العربي للنشر- القاهرة- ١٩٩٩م

٧- موسوعة أعلام الحضارة الإسلامية: مصطفى فتحي- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان- الأردن- ٢٠٠١م.

Availability، ونوعية المياه water Quality، والإتاحة Accessibility أي القدرة على الوصول للمياه. وإذا علمنا أن العالم اليوم يعاني من مشكلة المياه على صعيدي شح المصادر المائية وزيادة الإجهادات البيئية نتيجة التلوث، وفي الوقت نفسه يزداد الطلب على المياه للاستخدامات المختلفة فإن هذا الواقع يفرض إدارة المياه بحكمة وواقعية.

كيف تكون جودة مياه الشرب مضمونة؟

لقد أعدت منظمة الصحة العالمية المبادئ التوجيهية والدلائل الإرشادية لنوعية مياه الشرب والتي تشكل نقطة مرجعية دولية لسلام مياه الشرب، وهذه المبادئ تعتمد على دراسات كافية عن تأثيرات المادة في الكائن الحي وتُراجع باستمرار. وتستخدم دول العالم هذه الدلائل الإرشادية لوضع مواصفات مياه الشرب الخاصة بها حسب ظروف وإمكانات كل دولة؛ لذلك تعتبر إرشادات منظمة الصحة العالمية غير ملزمة بينما مواصفات مياه الشرب الصادرة في كل دولة ملزمة حسب القانون. وتتضمن مواصفات المياه مجموعة من الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية التي تحدد الحد الأقصى المسموح به في مياه الشرب، وتشمل الخصائص الفيزيائية اللون والطعم والرائحة والمواد الصلبة الذائبة (TDS)، والمواد الصلبة العالقة (TSS)، ودرجة الحرارة والعكارة وغيرها، بينما تشمل الخصائص الكيميائية؛ الرقم الهيدروجيني (PH) والقلوية والحمضية والعسرة والأكسجين المذاب، والعناصر الثقيلة وغيرها. أما الخصائص البيولوجية فتشمل أنواع الكائنات الحية الدقيقة مثل القولونيات الغائطية. وعموما إن أي مياه منتجة لأغراض الشرب يجب أن توافق جودتها المتطلبات التالية:

١- متطلبات استساغة (جمالية): أن يكون الماء خاليا من الطعم واللون والرائحة ومقبولا للمستهلك.

٢- متطلبات صحية: أن يكون الماء خاليا من الميكروبات المسببة للأمراض والكيماويات السامة.

٣- متطلبات اقتصادية: يجب أن يكون الماء منتجا بطريقة اقتصادية.

ما هي مؤشرات تلوث الماء؟

الماء النظيف أساسي لصحة المستهلكين ويمتاز بأنه ليس له طعم أو لون أو رائحة، وبرغم أهمية هذه الإشارات الثلاث فإنها تعتبر مقياسا أوليًا فقط وتعطينا مؤشرًا، لذلك يجب الامتناع فورًا عن شرب مياه لا تبدو نظيفة، طعمها غريب أو تفوح منه رائحة سيئة، وللحكم على جودة مياه الشرب بشكل نهائي من الناحيتين الكيميائية والبيولوجية نحتاج لفحوصات مخبرية دقيقة، وتتطلب جودة مياه الشرب أن تكون المياه مستساغة لأغلب المستهلكين.. إن وجود الطعم والرائحة في مياه الشرب ينتج عن وجود مواد عضوية وغير عضوية في مصادر المياه تحدث طبيعيا أو نتيجة للنشاطات البشرية. ويشير وجود طعم ورائحة غير محبذين إلى فشل في عملية معالجة مياه الشرب، وفي حالات معينة قد يشكو المستهلكون من طعم ورائحة خفيفة في مياه الشرب، وهذا غالبا ما يعود إلى التعقيم الكيميائي، ففي أنظمة توزيع المياه الكبيرة قد تطبق جرعة كبيرة من الكلور لضمان متبقي كلور في أنظمة التوزيع. كما يسبب ذوبان المركبات غير العضوية وخاصة المعادن مثل الحديد أو المغنيز الموجود في المياه الجوفية رواسب تعطي الطعم المعدني للمياه بسبب تفاعلها مع الأكسجين عند تعرضها للهواء، ويمكن أن تسبب معادن النحاس والزنك الناتجة من الأنابيب المجلفنة والنحاسية مشاكل طعم معدني في المياه، وإذا زاد تركيز الكبريتات في مياه الشرب عن ٢٥٠ ملغم/ ليتر فقد يسبب طعما ملحوظا. ويمكن لوجود كبريتيد الهيدروجين في الماء أن يسبب رائحة البيض الفاسد، إن وجود البكتيريا والطحالب في المياه السطحية يمكن أن تنتج بعض المركبات العضوية التي تسبب رائحة غير محببة للمياه، كما يسبب وجود بعض المركبات العضوية المصنعة مثل الهيدروكربونات والزيوت البترولية والمذيبات طعما غير محبب يشبه طعم الديزل. أما اللون فيمكن للمستهلك أن يكتشفه إذا زاد عن ١٥ وحدة لون حقيقية True Colour Units TCU وينتج اللون في المياه بسبب ذوبان المواد العضوية مثل أحماض الفولفيك والهيومك وذوبان المعادن مثل الحديد الذي يسبب اللون البني للمياه. ومن الممكن أن تتغير جودة المياه خلال مرحلة النقل والتوزيع وهذا ناتج عن الصدأ والرواسب والتآكل والنزع والتفاعلات التي تتضمنها كيماويات المعالجة والتعقيم في نظام التوزيع.

تقييم إمدادات مياه الشرب ومراقبة جودتها

لقد تبنت بعض الدول استراتيجيات وطنية لرصد إمدادات مياه الشرب ومراقبة جودتها (مؤشرات كمية للخدمة) يجري تطبيقها لتقييم حالة مياه الشرب، وهذه المؤشرات تشمل ما يلي:

- النوعية: نسبة العينات أو الإمدادات التي تستجيب للقيم الدلالية الموضوعة من أجل جودة مياه الشرب والحد الأدنى من المعايير الخاصة بالمعالجة وحماية المورد المائي.
- التغطية: النسبة المئوية من السكان التي تتمتع بنظام يمكن تمييزه لإمدادات المياه.
- الكمية: متوسط كمية المياه المستخدمة من قبل المستهلكين في الأغراض المنزلية معبرا عنه بوحدة (اللتر/فرد/يوم).
- الاستمرارية: النسبة المئوية للوقت الذي تتوفر فيه المياه (يوميا، أو أسبوعيا، أو موسميا).
- التكلفة: التعرفة التي يدفعها المستهلكون المنزليون.

المطلوب التوعية والوقاية

إن المحافظة على جودة مياه الشرب هي مسؤولية كل مسلم في موقعه، ولابد أن يكون هناك تعاون من مختلف قطاعات المجتمع للحفاظ على المياه من حيث الكمية والنوعية، فقد أكد الإسلام على النهي عن الفساد في الأرض، قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الاعراف: ٥٦)، وعند البخاري أن الرسول ﷺ «كان يتوضأ بالمد» (ما يعادل ٢/٣ ليتر) ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد (ما يعادل ٢-٢،٥ ليتر)، ويبين هذا الحديث الطريقة المنطقية لاستخدام المياه بشكل مستدام في شبه الجزيرة العربية القاحلة حيث عاش الرسول ﷺ.

المراجع:
١- تقارير الأمم المتحدة حول تنمية مياه العالم، برنامج تقييم المياه العالمي، الأمم المتحدة.
٢- الماء والإصحاح في الإسلام، د.عبدالفتاح الحسيني، منظمة الصحة العالمية.
٣- دلائل جودة مياه الشرب، منظمة الصحة العالمية ٢٠٠٤.
٤- water in changing world report Unisco ٢٠٠٩.
٥- UNICEF handbook on water quality UNICEF NEWYORK ٢٠٠٨.
٦- Water quality for ecosystem and human health UNEP٢٠٠٦.

هم الذين يخرجون المنافقين، لأنهم أهلُ العزة، والمنافقين أهلُ الذلة، ولهذا كانوا يحسَبون كلّ صيحة عليهم، وذلك لذلهم وهلعهم، وكانوا إذَا لقوا الذين آمنوا، قالوا: آمنا، خوفًا وجبنًا، وإذا خلوْا إلى شياطينهم، قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزئون! وهذا غايةُ الذل.

أما المؤمنون، فكانوا أعزاءَ بدينهم، قال الله عنهم في مجادلة أهل الكتاب: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فيعلنونها صريحة، لا يَخافون في الله لومةَ لائم. وبمقتضى العزة الممدوحة يجب على المسلم أن يعتزّ بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فلا يُريق ماءَ وجهه ولا يَبذُل عرضَه فيما يُدنسه، فيبقى موفورَ الكرامة مرتاحَ الضمير مرفوعَ الرأس شامخَ العرين سالمًا من ألم الهوان متحررًا من رقّ الأهواء ومن ذلّ الطمع، لا يسيرُ إلا وَفَق ما يُمليه عليهَ إيمانُه والحقّ الذي يحمله ويدعو إليه، يقول أحدُ الصالحين: ثلاثة من أعمال المراقبة: إيثارُ ما أنزل اللهُ، وتعظيمُ ما عظّم اللهُ، وتصغيرُ ما صغّر الله. قال: وثلاثةٌ من أعلام الاعتزاز بالله: التكاثرُ بالحكمة وليس بالعشيرة، والاستعانةُ بالله وليس بالمخلوقين، والتذللُ لأهلِ الدين في الله وليس لأبناء الدنيا.

إنّ التربيةَ على العزة أمرٌ بالغُ الأهمية: لأنّها تربيةٌ على معالي الأخلاق ومحاسنها، لاسيما أنّ هذه الأهمية تزداد في هذه الأزمنة التي تَعجُّ بالفتن والمحن، حتى أصبحَ الذلُّ والخورُ والهوانُ يَدبُّ في الفرد قبل الأمة، وما ذلك إلا لأنّ الأمةَ ابتعدت عن كتاب ربها، وسنةِ نبيها ﷺ، والنهل من معينهما.

ومن عجب أنّ اللهَ يريدُ لهذه الأمة العزة والرفعةَ، ثم هي تريدُ الذلّ والهوانَ والصَغار، لقد أراد اللهُ لأمة محمد ﷺ أنْ تكونَ عزيزةً لأنه تعالى أراد لها أنْ تبنيَ الأرضَ وتعمرَها بالخير، ومن المعلوم أنه لا يبني الأرضَ ذليلٌ وإنما يبنيها القويُّ العزيز.

والإسلام لا يأمرُ المؤمنين بالعبادات والأخلاق أمرا قانونيا جافا، أو يعللها لهم تعليلا عقليا باردا، وإنما يربيهم عليها تربيةً أخلاقية خاصة؛ فنرى القرآنَ يبينُ جلالَ العبادة أو الفعل الأخلاقي من صلاة وصوم، أو صدق أو بر، عقلا ويكررُ الحديث عنه في مواضعَ متعددة، بإظهار محاسنه أو أمر به، أو ثناء على أصحابه، فينغرسُ حبُّه في القلب، وتتوجهُ له النفسُ لتؤديَه، وكذلك يبينُ ربُنا تبارك وتعالى سيئات الشر ويكررُ الحديث عنه بينَ بيانٍ لفسادِه أو استنكارٍ لفعله، أو ذمّ لصاحبه. وبذلك يتحسسُ المرء جمالَ الخير ويميلُ إليه، ويتحسسُ قبحَ الشر عقلا وقلبا فيأنفُ منه.

فكان منَ المهمات التي تتحتمُ على الأمة الإسلامية بأسرها أنْ تتربى على معاني العزة، وأنْ تحيي هذه الخصلة في نفوس أبنائها، ولنْ يستطيعَ فعلَ ذلك إلا الغيورون على دينهم.

ومجالاتُ هذه التربية واسعةٌ شاملةٌ لجميع البيئات، ولذلك يتحتمُ على الكلّ تربيةُ أفرادهم على العزة، الأسرةِ والمدرسةِ، والعلماءِ والمفكرين عبرَ دروسهم ومشاركاتهم في الإعلام المسموع والمرئي.

ومن فضائل العزة أيضا:

أنها تربط العبدَ بالله لأنّ اللهَ هو الواهبُ الحقيقيُّ لها فيرتبطُ العبدُ بربه إيمانا ويقينا ودعاءً وتوكلا وخوفا ورجاء.

ومنها: أنّ هذه العزةَ لا تُنال إلا بطاعة الله، وطاعةُ الله مأجورٌ عليها صاحبُها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: وأمّا قولُه تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فمعناه مَنْ كانَ يُريدَ أنْ يُعز فليَكتسب العزة من الله فإنها له، ولا تنالُ إلا بطاعته، ومن ثَمّ أثبتها لرسوله وللمؤمنين فقال في الآية الأخرى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومن فضائل العزة: أنّ المتصفَ بها بعدَ كونه مستحقا لها بتحقيق سببها الرئيس وهو طاعة الله قد شرّفَه اللهُ عز وجلَ بالنسبة إليه، ومَنْ أحسنُ ممن انتسبَ لربّ العزة والجلال.

ومنها: أنها تُحققُ للفرد المسلم قوتَه وشرفَه وكرامتَه وكبرياءَه، منْ غير تعد وترفّع على الخلق بغير حق، فهي لا تجعلُه يتخبطُ خبطَ عشواءَ، ويذهبُ يمنة ويسرةً في طلبها وتحقيقها، بل تجعلُه متّزنا لأنّ مصدرَها واحدٌ، وأسبابَ تحقيقها معروفةٌ محدودة.

ومن فضائلها: أنها تُحقق للأمة المجدَ والسؤدَدَ لتتبوأَ مكانتَها اللائقةَ بينَ الأمم إذا طبقت بمعانيها الصحيحة، وابتعدت عن أسباب الذل والهوان. وهو ما حذّر منه الرسول ﷺ بقوله: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع وتركتمُ الجهادَ سلط اللهُ عليكم ذلا لنْ يَنزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

وسببُ هذا الذلّ، واللهُ أعلم، أنهم لمّا تركوا الجهادَ في سبيل الله الذي فيه عزّ الإسلام وإظهارُه على كل دين، عاملهمُ الله بنقيضه وهو إنزال الذّلة بهم فصاروا يمشون خلفَ أذنابِ البقرَ، بعد أنْ كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعزّ مكان. ففتنة الناس بالدنيا وما فيها منْ أموالٍ وحرثٍ وزرعٍ إذا كانت مقدّمةً على أوامرَ الله وتركِ نواهيه كانت الحقيقةَ المرةُ، وهي الذل.

ألا إنما التقوى هو العزُّ والكرم وحبُّك للدنيا هو الذلُّ والعدم

إلَى المَدينَة...﴾، وجاءت آية سورة المائدة تَصبُّ فِي نفس الاتجاه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤) هذا وقد وردت لفظة العزة في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة، كان نصيبُ المكي منها ثمانيَ وأربعينَ آية، وكان لهذا الاهتمام المكي بهذه اللفظة حكمةٌ بالغة من الله عز وجل، وهي أنّ الله أراد أنْ تمتلئَ أسماعُ المؤمنين بهذه اللفظة، وترسخَ معانيها في أذهانهم، فيتربون على حبها في بداية الأمر، حتى يسيطرَ عليهمُ اليقينُ بعزة ربهم، ويستشعروا القوةَ في أنفسهم ويعتزوا بمن له الكبرياءُ وحده في السموات والأرض، ويتأبوّا عل الهوان حين يأتيهم من أيّ مخلوق، ويفزعوا إلى الله ليُعزّهم بعزته.

وأما عن دور الأسرة في تربية العزة فإننا نرى ولخطورة دورها أنّ الله لمْ يختَرْ لنبيه موسى عليه السلام أنْ يتربى إلا عندَ فرعون الطاغية، وذلك أنّ ما سوى بيت فرعون وآل فرعونَ من بني إسرائيل بيوتٌ ذليلةٌ مضطهدة يُقتل فيها الوليدُ الذكر، وتُستحيا فيها الأنثى حتى تكبرَ لتخدمَ في بيوت فرعون، وآل فرعون.

ويكمُنُ دورُ الأسرة في التربية على العزة بالالتزام بتعاليم الإسلام ظاهرا وباطنا، ومن ذلك:

-أولا: تربيةُ النشء على الإيمان بالله أولا، وأنه هو الذي خلقنا، فلا نتوجهُ لغيره، وأنه سبحانه الذي يستحقُّ منا العبادةَ والشكر، وتعويدُ النشء عند مُلماته البسيطة أو الصعبة على الالتجاء إلى الله سبحانه، وتربيتُه على الإيمان بملائكة الله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدَر خيره وشرّه، فكلّ هذا مِنْ شأنه أنْ يُربيَه على الاعتزاز بالله والارتباط به.

ثانيا: تربيتُه على العبادات الأساسية، وتنميةُ المخزون العباديّ لديه، كالصلاة وإيصال الصدقة والذكر وزيارة الأرحام، لأنّ الطاعة تكون زادا للإنسان في تحصيل العزة كما قال ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ

لو اجتمع الخلق على أن يثبتوا لأحد عزا فوق ما يثبته اليسير من طاعة الله لما قدروا

العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠).

ثالثا: تربيتُه على مُدارسة سيرة النبيّ ﷺ العطرة وأصحابه الكرام والسلفَ الصالح، ومَلءُ قلوبهم بحبهم والاقتداء بهم، وتنميةُ الاعتزاز بهم؛ وذلك لأنّ في دراسة السيرة النبوية العطرة تقويةً للإيمان وزرعًا لقيَم الدين في النفس، وتعويدًا على مكارم الأخلاق، وثباتًا على الحق، وتمسكا بالإسلام، وذلك من شأنه أنْ يُنشئ جيلا صالحا عزيزا.

رابعا: تربيتُه على خُلُق العفة عما في أيدي الناس، فالتعففُ عما في أيديهم يترتبُ عليه عدمُ إذلال نفسه تجاهَ الآخرين، أو أنه لا يُشعره بدونيته بينهم، بل بعزته وشموخه وكرامته، فلا يأخذُ وهو ذليلُ النفس، بل يأخذُ وهو مرفوعُ الرأس، ويُعطي وهو مرفوعُ الرأس.

والتعففُ عما حرّم اللهُ يترتب عليه رضا الله وعدمُ سخطه عليه؛ لأنّ التعففَ الذي هو بمعنى ترك المعاصي كبيرها وصغيرها يزيدُه عزةَ ورفعة عندَ الله وعندَ الناس، والمعصية لا تزيدُه إلا ذُلا وهوانا عندَ الله وعند خَلقه، قال الحسنُ رحمه الله: وإنّ هملجتْ بهمُ البراذينُ، وطقطقتْ بهمُ النعال، إنّ ذُلّ المعصية لفي قلوبهم، أبى الله إلا أنْ يُذلّ من عصاه.

ألا ترى أيها الأخُ القارئ كيف يَنفر العقلاءُ ممن يَفعل المعصيةَ أمامهم، فكَيف بالله عز وجل وهو مُطّلعٌ على الخلق ولا يغيبُ عنه شيءٌ من أفعالهم وأقوالهم، وهو المستحقُّ للخشية جلّ جلاله.

خامسا: امتثالُ الأبوين لمنهجية القدوة الصالحة في البيت، التي من شأنها تربيتُهم على الفضائل واكتسابَ الأخلاق الحميدة من أبويهم. ومنها العزة.

سادسا: التعاملُ السليمُ مع الأبناء في معالجة أخطائهم فالأسرة التي تُربي أبناءها في معالجة أخطائهم بالضرب والصياح وعدم مجالسة الكبار أو عدم الإجابة على أسئلتهم، فإنها بذلك تورثُ عند الأولاد فُقدانَ الثقة التي هي مصدرُ أمانهم في المستقبل، وتتسببُ في ضَعف الشخصية التي من شأنها أنْ تحققَ لهمُ الذلّ في ذواتهم بدلا من العزة.

سابعا: تعويدُهم على مكارم الأخلاق وصفات الرجولة كالكرم والشجاعة والعزة وحسن التعامل والذوق الرفيع، فلا يقاطعُ متحدثا، ولا يسخرُ من أحد، ولا يرفعُ صوتَه على مَنْ أمامَه، ويعتذرُ عن الخطأ الذي يَصدر منه بسرعة، ولا يتجشّأ أمامَ أحد متعمدا، وغيرِها من الأفعال الأخرى.

وتأتي أهميةُ المدرسة بعد أهمية البيت في تربية العزة من حيثُ إنّ الناشئَ يقضي ربعَ يومه تقريبا فيها ولمدة سنوات طويلة من عمره، ولاشكّ أنّ دورَها رائدٌ في التربية من هذا الباب.. ولأنّ المدرسة تعتمدُ في تدريسها على التلقين المُحاط بوسائلَ مساعدة كوجود زملاءَ للنشء، وإمكانية إخراجَ طاقاته الكامنة في أكثرَ من نشاط وأكثرَ من وسيلة.

وأخيرا عزيزي القارئ إذا عرفت أنّ اللهَ هو المُعزّ، فاعلم أيضا أنّ الناسَ لو اجتمعوا جميعا على أنْ يرفعوك درجة لا يستطيعون، وإذا رفعك الله عز وجل درجة أو أكثرَ فلا يستطيعُ أهلُ الأرض أنْ يُنزلوك. ومعلوم أنه: إذا عرفتَ أنه المعزّ لم تطلب العز إلا بطاعته.

قال بعضُ الصالحين: لو اجتمعَ الخلقُ على أنْ يُثبتوا لأحد عزًا فوقَ ما يُثبته اليسيرُ من طاعته لَما قدروا، لا تُعَزُّ إلا بطاعة الله... أعزِّ أمرَ الله يُعزّك الله، العاملُ الوحيدُ الذي يرفعُك ويخفضك هو الطاعة والمعصية، كلما أطعت الله ازددت عزا، وكلما عصيته هُنت عليه.

أهم المراجع:

- كتب التفسير
- العزة في القرآن الكريم، وائل بن محمد بن علي جابر.
- الهزيمة النفسية عند المسلمين، د.عبدالله الخاطر.
- العزة، محمد الهبدان.
- العزة، عبد الرحمن بن فؤاد الجار الله.

١٢- من لانت كلمته وجبت محبته. من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة. لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس. ولا أي طعاميه أكل.

التعليق

بدأها في المقطع الأول بما تبدأ به الوصايا أي بالفعل أوصى، مقرونا بفحوى التوصية، وقد اشتملت كل وصية من وصايا المقطع على فن الطباق وهو محسن بديعي يجمل الكلام ويقرب المعنى، وفق قول الشاعر:

والحسن يظهر حسنَه الضدُّ

«أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة. وكلمة الحق في الرضى والغضب. والقصد في الغنى والفقر. والعدل في الصديق والعدو. والعمل في النشاط والكسل. والرضى عن الله تعالى في الشدة والرخاء».

تأمل الطباق بين الغيب والشهادة، وبين الرضى والغضب، وبين الغنى والفقر...

وثنى في المقطع الثاني بجمل تشتمل على فن المقابلة: ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده النار بخير. وكل نعيم دون الجنة محقور. وكل بلاء دون النار عافية.

فالشر يقابله الخير، والجنة يقابلها النار، والشر الثانية يقابلها الخير الثانية. وكذا في الجملة الأخرى...

ثم أردفها في المقطع الثالث بجمل شرطية جمعت صنوف الحكم:

«اعلم يا بني أن من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره. ومن رضي بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته. ومن سل سيف البغي قتل به. ومن حفر بئرًا لأخيه وقع فيها. ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته. ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره. ومن كابد الأمور عطب. ومن اقتحم البحر غرق. ومن أعجب برأيه ضل».

وهي كما ترى في غاية الإيجاز والإبداع، مع ما تشتمل عليه من عظيم المعاني والحكم. وبديع المحسنات والصور، فالبغي له سيف من سله قتل به، وتدبير السوء بئر من حفرها وقع فيها، وهو ما يسمى عند البلاغيين استعارة تصريحية.

من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره والحرص مفتاح التعب والتدبير قبل العمل يؤمنك الندم

وفي المقطع الرابع جمل اسمية لا يعدو بعضها المبتدأ والخبر، لكنه في غاية الجمال والاتساق: «الذكر نور. والغفلة ظلمة. والجهالة ضلالة...» وهي تشتمل على صور بيانية، تسمى عند أهل البلاغة بالتشبيه البليغ، إذ شبه الذكر بالنور، والغفلة بالظلمة.. دون ذكر أداة التشبيه أو وجه الشبه.

ويمتد بعضها ليشتمل على مكملات تزيد الجملة بهاء وسنى: «والسعيد من وعظ بغيره. والأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين».

وفي المقطع الخامس يستعمل النفي بليس مقدما خبرها على اسمها في أسلوب بلاغي يدعى بالقصر: «يا بني ليس مع قطيعة الرحم نماء. ولا مع الفجور غنى».

وفي المقطع السادس جمل شرطية متتابعة متراكبة، آخذ بعضها برقاب بعض، بل مبني بعضها على بعض، تسلمك الأولى للثانية والثانية للثالثة...

وهكذا في نظام لا ينقضي من العجب: «ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه. ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار».

وفي المقطع السابع أسلوب التعليل، فقد نهى عن أمر ثم علل سبب النهي بكم التكثيرية: يا بني لا تؤيسن مذنبًا فكم من عاكف على ذنبه ختم له بالخير. ومن مقبل على عمله مفسد له في آخر عمره صار إلى النار.

وفي المقطع الثامن يبدو فن السجع: «يا بني كثرة الزيارة تورث الملالة... إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله». بين الزيارة والملالة، وبين نفسه وعقله.

وفي المقطع التاسع يستعمل لا النافية للجنس في نسق بديع يبدي علو الإسلام، وكرم التقوى، وحرز الورع، ونجاع التوبة، وجمال العافية: «لا شرف أعلى من الإسلام. ولا كرم أعلى من التقوى. ولا معقل أحرز من الورع. ولا شفيع أنجح من التوبة. ولا لباس أجمل من العافية».

وفي المقطع العاشر فن السجع أيضا بين التعب والنصب، وبين الذنوب والعيوب: «الحرص مفتاح التعب. ومطية النصب. وداع إلى التقحم في الذنوب. والشر جامع لمساوئ العيوب». ولا يخفى ما في التعابير الإضافية مفتاح التعب. ومطية النصب من صور. ومن جمال التعبير استعمال التمييز بعد كفى، في قوله: «وكفى أدبًا لنفسك ما كرهته من غيرك».

وفي المقطع الحادي عشر تصوير بديع مستقى من قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ إذ هو يشبه العدوان بأسوأ زاد يتزوده المرء لآخرته: «بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد».. ثم يتبعه بتعبير فيه أسلوب القصر: «في كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص» بتقديم الخبر على مبتدئه النكرة.

وفي المقطع الثاني عشر ضروب من المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، ففيه الموازنة، والسجع، والطباق، وحسن التقسيم: «ما أقرب الراحة من التعب. والبؤس من النعيم. والموت من الحياة، فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته. وبخ بخ لعالم علم فكف. وعمل فجد. وخاف الثبات. فأعد واستعد. إن سئل أفصح...».

وفي المقطع الثالث عشر كذلك بعض أنواع البديع كالجناس الناقص بين الحياء والحياة، والسجع بين كلمته ومحبته، والطباق بين الموت والحياة: «من لانت كلمته وجبت محبته. من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة. لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس. ولا أي طعاميه أكل».

وبعد، فهذا غيض من فيض، أشرت فيه إلى بعض ما تحويه هذه الوصايا والحكم من ضروب البلاغة والبيان والبديع، وهو منبهة على ما وراءه من هذه الفنون.

المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهوض

اتفق خبراء مصريون، متخصصون في شؤون الأزهر، على تدني مستوى التعليم في المعاهد الأزهرية، بمراحلها الثلاث، الابتدائي والإعدادي والثانوي، واعتبروا أن أسباب هذا التدني متعددة، وأنها تتراوح بين الفني، والإداري، والمالي، والنفسي، مشددين على أن الأمر يحتاج إلى اعتراف بالخطأ، والتحرك العاجل لإنقاذ الموقف المتردي، والذي أثر بالسلب على مستوى خريجي جامعة الأزهر، ومن ثم على منظومة الدعوة الإسلامية، والتي تشمل الخطباء والدعاة والوعاظ والأئمة والمفتين.

تحقيق : همام عبدالمعبود

قدم الخبراء، المهتمون بملف تطوير المعاهد الأزهرية في مصر، في تصريحات خاصة لمجلة «الوعي الإسلامي»، وصفات علاجية، تلاقت في ضرورة «إعادة العمل بنظام الكتاتيب»، و«عودة المشاريع الصيفية لتحفيظ القرآن الكريم»، مع «التأكيد على تخفيض أعداد المقبولين بالأزهر»، و«انتقاء المتميزين»، واختيار المعلمين الذين يقومون بالتدريس بالمعاهد «من أكفأ الخريجين المؤهلين»، و«تشكيل لجان متخصصة لتنقية وتنقيح ومراجعة المناهج الدراسية» في مختلف مراحل التعليم.

تشويه المناهج وتفريغها

في البداية، وردًّا على سؤال حول أسباب تردي المعاهد الأزهرية، التي هي الركيزة الأساسية، ومركز الإمداد لجامعة الأزهر، ومن ثم للمنابر الإسلامية (المساجد)، والإعلامية (المقروءة والمسموعة والمرئية)، يقول موجه متابعة بمنطقة شمال المنيا الأزهرية الشيخ محمد هاشم: هناك أسباب عدة منها: الفني، والإداري، والمالي، والنفسي، والإيماني.

وعن الأسباب الفنية، يقول هاشم، والذي عمل سابقا معلمًا لمادة اللغة العربية بفروعها: تتمثل الأسباب الفنية في القائمين على وضع المناهج والخطط الدراسية التي جاءت في الفترة السابقة، لتخدم المخططات التي تهدف إلى إزواء دور الأزهر في المجتمع، وتنحيته جانبًا.. ضاربًا أمثلة بالخلل الموجود في مناهج مواد: الفقه، والتوحيد، والتفسير، فضلا عن تفريغ المناهج من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة.

ويفصل هاشم ما أجمله قائلًا: في مناهج الفقه، ألغي الفقه المذهبي، ليحل محله الفقه الميسر، والذي تحول من مادة علمية بحثية، إلى مجرد مادة وعظية إنشائية، لا تخرج طالبًا تأسس على دراسة العلم البحثي، والتي هي مهمة طالب الأزهر في المقام الأول، وإنما تخرج طالبًا درس معلومات عامة مثله مثل غيره من الطلاب، ولكن الحمد لله، ففي هذه النقطة، عاد الأزهر وقرر الفقه المذهبي مجددًا.

وفي مناهج مادة التوحيد، كان الكتاب المقرر كتاب «البيجوري في شرح الجوهرة»، لكنه ألغي من القسم الثانوي، ووضع محله كتاب «التوحيد»، وهو كتاب لا قيمة له من الناحية العلمية، فهو عبارة عن مادة إنشائية، وخرجت هذه المادة من ذهن الطالب تمامًا، حتى كأنه لم يدرسها إلا ثقافة عامة.

ويضيف هاشم: وفي مناهج مادة التفسير: ألغي المذهب القديم في التفسير، والذي كان يقوم على دراسة نوع من التفسير لأحد المفسرين، ووضعت كتب جديدة للتفسير، لا تحوي تفسيرًا، وإنما هي عبارة عن معاني بعض الكلمات فقط، وليس لجميع الكلمات، ولم يذكر إطلاقًا المعنى العام أو الإجمالي، أو أي وجه من أوجه علم التفسير.

ويلخص هاشم الأسباب الفنية قائلًا: لقد تم تفريغ المناهج من بعض الدروس التي

محمود القلعاوي　　محمد هاشم　　د. أكرم كساب

تغرس في نفوس الطلاب القيم النبيلة، والقدوة الحسنة، خدمة للنظام السابق، والتي منها حذف دروس المعاملات المالية، والجهاد في الفقه الإسلامي، مشيرًا إلى أن: «هذه الملاحظات هي أمثلة إجمالية، وليست على سبيل الحصر، ولا على سبيل التفصيل، وما ينطبق على هذه الأمثلة، ينطبق على الكثير من المواد الأخرى المقررة».

روشتة النهوض بالمعاهد الأزهرية

وعن مقترحات النهوض بالتعليم في المعاهد الأزهرية بجمهورية مصر العربية، ولكي يعود الأزهر إلى مكانته ولكي يمارس دوره كما كان في السابق، يقدم الشيخ محمد هاشم روشتة تتلخص في النقاط التالية:

١- استقلال الأزهر عن وزارات الدولة، فهذا يجعل له شخصيته المستقلة في اتخاذ القرارات التي تلائم طبيعته، والتي تتناسب مع منهجه ومقرراته.

٢- تشكيل لجان متخصصة يراعى فيها الإخلاص، أو يظن فيها الإخلاص والتخصص، لتقوم بمهمة مراجعة المناهج الدراسية، وإقرار ما يناسب الأزهر منها، وتصحيح الخطأ، وحذف المخالف.

٣- تشكيل لجان إدارية أيضا لمراجعة الخطط الدراسية، وترتيب الأولويات بالنسبة للمواد، ووضع المواد التي تساعد الطالب على التفوق في المقدمة.

٤- إضافة مادة للخطابة، تبدأ من القسم الإعدادي على الأقل، إلى القسم الثانوي، وتكون في القسم الابتدائي ضمن مواد الأنشطة، وتقوم عليها لجنة متخصصة في المواد الشرعية والعربية لتصحيح الأخطاء.

٥- إعادة الكتاتيب التابعة للأزهر، مع توفير الاعتمادات المالية التي تلزمها، فهذا من أهم الروافد المعاونة مع المعاهد في حفظ القرآن الكريم.

٦- إعادة مشروع التحفيظ الصيفي للمعاهد الابتدائية، وتوفير الأجور الرمزية كما كانت.

٧- التخفيف من الإجراءات الإدارية في التعامل بين الإدارات والمعاهد؛ لتسهيل تنفيذ الخطط الإدارية والدراسية.

٨- اختيار رؤساء المصالح على أساس التقوى والورع، أو ممن يظن فيهم ذلك، بأن يكون رئيس المصلحة قدوة في التزامه، وفي تقواه وورعه، وحضوره وانصرافه، وعمله؛ حتى يقدم المثل والقدوة لمن معه.

٩- مساواة محفظي القرآن الكريم بزملائهم المعلمين في الحقوق المالية والأدبية، إن لم يكن لهم حافز خاص بهم.

١٠- تفعيل الدورات التدريبية للسادة المعلمين، وأن تؤدى شكلًا ومضمونًا، وأن يقوم بها متخصصون خبراء.

١١- إعادة النظر في نظام الفصل الدراسي الأول (التيرم الأول)، وإن كان هذا يخفف عن الطالب إلا أنه لا يخرج لنا طالب علم، وإنما يخرج لنا أشباه طلاب، حيث يفصل الطالب عن المادة العلمية.

١٢- تفعيل حصص المكتبة.. فهي لا تؤدى في المعاهد، نظرًا لتكدس حصص المعلمين، فالكتب موجودة فقط على الأرفف، ولا تفتح للطلاب.

١٣- توفير المعامل بالمعاهد لإجراء التجارب العلمية، فغالبية المعاهد لا يوجد بها معامل، والموجود منها غير مجهز للعمل، ومواد المعمل غير متوفرة، والمتوفر منها كثير منه منتهي الصلاحية.

يجب ألا يقبل

المتردية والنطيحة!

ويرجع عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين د.أكرم كساب أسباب تدني مستوى التعليم في المعاهد الأزهرية إلى أمور عدة منها: تدبير حكومي منظم لإضعاف التعليم الديني في مصر، تدني مستوى المعلم الأزهري، عدم مواكبة المناهج الأزهرية للتطور الحادث في المجتمع، فضلًا عن ضعف مستوى الطالب الأزهري، حيث يدفع إلى الأزهر في كثير من الأحيان بضعاف المستوى، ومن عجزوا عن مواصلة التعليم العام.

ويضيف كساب قائلًا: إن النهوض بالمعاهد الأزهرية، يحتاج بالضرورة إلى كفاية المعلم من الناحية المعنوية والمادية؛ حتى يتفرغ للإبداع في عمله، مع تطوير المناهج بحيث تتماشى مع التطور الحاصل الآن، واختيار طلاب الأزهر بدقة وعناية، بحيث لا يقبل المتردية والنطيحة وما شابه ذلك، والبحث عن النوابغ وتبنيها لثقل موهبتها، مع الاهتمام بالكتاتيب، لأنها «مفرخة» الأزهر.. فأزهري من دون القرآن لا قيمة له ولا وزن.

فصل الكليات العلمية عن الشرعية

وفي تعليقه على الموضوع قال، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والإمام والخطيب بوزارة الأوقاف المصرية، الداعية الإسلامي الشيخ محمود القلعاوي: إذا ما نظرنا للتعليم الأزهري، نجد أن هناك أسبابًا كثيرة أدت إلى هذا الضعف الواضح للعيان، بدايتها اختلاف النظرة الإعلامية للتعليم الأزهري عن التعليم العام، فالتعليم الأزهري شبه مجهول في تغطية الإعلام له، مقارنة مثلا بالثانوية العامة، هذا التجاهل يجعل النظرة إلى التعليم الأزهري متدنية، ولو دون قصد.

ويضيف الشيخ القلعاوي: ومن الأسباب أيضًا، ضعف المعلم بشكل عام، سواء في مستواه العلمي الحاصل عليه من جامعة الأزهر، أو عدم وجود تدريب جاد يحصل عليه أثناء عمله كمعلم في المعاهد الأزهرية، فضلًا عن طبيعة المناهج، فالطالب الأزهري يدرس العلوم الشرعية، إضافة إلى مناهج التعليم العام، مما يثقل كاهله، مقترحًا فصل الكليات الشرعية عن الكليات العلمية.

ويتابع قائلًا: وهناك الجانب الإداري، حيث ينخر فيه المحسوبية والوساطة، ومن ذلك فكرة الضم للمعاهد الأزهرية، والتي بموجبها يحق للمتبرع القائم على بناء المعهد الأزهري بالجهود الذاتية، أن يعين بعض المعلمين كنوع من التكريم له، غير أن هؤلاء في الغالب يكونون من ضعاف المستوى، مما يكون له أثره السيئ على العملية التعليمية، معتبرًا أن أسباب النهوض تكمن في علاج أسباب التخلف، فضلًا عن الاهتمام بالتعليم الأزهري، ورفع مستوى المعلمين بالأزهر، فنيًا وإداريًا وماديًا.

الجارم وحافظ وعبده بدوي.. أشهر من تغنوا بها في القرن العشرين

بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وإن بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كله.. لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطق به في كلام منظوم أو منثور.

لكل هذا كانت «اللغة العربية» ومازالت فخر أبنائها، فقد تغنوا بها، ونظموا فيها بدائع أشعارهم، فهاهو الشاعر المسيحي السوري «جاك صبري شماس» يقول في قصيدته «أشرف اللغات.. لغة القرآن الكريم»:

هام الفؤادُ بروضك الريّانِ
أسمى اللغات ربيبة القرآنِ
أنا لنْ أخاطب بالرطانة يعربًا
أو أستعير مترجمًا لبيانِ
أودعتُ فيك حشاشتي ومشاعري
ولأنت أمي، والدي وكياني
لغةٌ حباها اللهُ حرفًا خالدًا
فتضوّعتْ عبقًا على الأكوانِ
وتلألأت بالضاد تشمخُ عزةً
وتسيلُ شهداً في فم الأزمانِ
فاحرصْ أخي العربي من غدر المُدَى
واغرسْ بذورَ الضاد في الوجدانِ
ما كان حرفك من «فرنسا» يُقتدى
أو كان شَعرك من بني «ريفان»
ولئنْ نطقتَ أيا شقيقي فلتقلْ:
خير اللغات فصاحة القرآن

كذلك، تغنى الشاعر الكبير «علي الجارم» بالفصحى، فهي التي علمته سحر البيان، حتى إن حسنها يعجز عن وصفه الشعراء، فهي سرّ الحسن، ولغة الفن الرائق، لأنها أقدم من التاريخ ذاته، فيقول:

يابنة الضاد أنت سرٌّ من الحسن
تجلى على بني الإنسان
لغة الفن أنت والسحر والشعر
ونورُ الحِجَى ووحيُ الجنانِ

أما الشاعر الدكتور «عبده بدوي» فيرسم في قصيدته «اللغة.. والبلبل» صورة تشكيلية تاريخية واعية للعربية بعطورها الفواحة، وخيالها الذي يأسر القلوب.. فهي عنده دوحة ظليلة لمحبيها، وهودج العشق لأمتها، وقصة الأبطال الذين نافحوا عنها، حتى تنزّل بلسانها القرآن الكريم:

تابعتُ عطرك في صحراء أجدادي
ودرتُ حولك في صمتي وإنشادي
مازلتُ أذكرُ حرفًا فيه وسوسةٌ
من الجنان، ومن تفاحها النادي
قد كنت دوحة بان.. أنبتتْ رجزًا
قُرِّبَ الخيام التي شُدّت بأوتادِ
وكنت هودج عشق فيه زلزلةٌ
فالحب رغم التأسي رائحٌ غادي
وكنت قصة فرسان قد انهمروا
وأصبحوا والأماني عند ميعادِ
حتى تدفق فيك الوحي مبتهجًا
فأصبح الكونُ -كل الكون- في الضادِ
اللهَ يا فجرها فاضت قداستهُ
بالنور في «كعبة» بالشعر في «النادي»

وهاهي ذي تتكلم على لسان شاعرها المكي «مصطفى زقزوق» في قصيدته «اللغة العربية»، فتقول مفاخرة بروعة بيانها ودلائل إعجازها، وتفردها بين اللغات:

منحتكَ قُرْبي والحروفُ مضيئةٌ
بروعة آيات وتغريد طائرِ
منحتك ما عندي، فلم يبقَ غيرهُ
خلائقُ من نُبلٍ وأمجاد غابري
وفوق جبيني أمةٌ عربيةٌ
مُفاخرةٌ بالضاد عن لهو ساخرِ

هذه هي «لغة الضاد» أم اللغات، وأصلَ كل اللهجات التي عرفتها الدنيا بأسرها، والتي أمدّت الأدباء والكُتّاب بوابل صيّب من البيان الأدبي الذي لم تشهد الدنيا له مثيلاً، من أجل هذا أصبحت هدفًا لسهام خصومها وشانئيها.. فتعرضت لأكثر من هجمة مغرضة.. ولم تكن الحرب عليها من حيث هي لغة عربية، وإنما لأنها لغة تقوم بدور التوحيد الآن، توحيد اللسان والفكر والثقافة كما قامت بدور التوحيد في الماضي، وهم لا يريدون لهذه الأمة

«جاك صبري شماس».. أبرز المسيحيين العرب الذين نافحوا عن الفصحى

أن تتوحد، ولأنها أيضًا لغة تستوعب تراث الحضارة الإسلامية، وبقاء هذه اللغة يصل هذه الأمة بماضيها، وهم لا يريدون لهذه الأمة أن تتواصل، ولا يريدون لهذا التراث أن يبقى حيًا وفاعلاً ومؤثرًا... فحُوربت بإحلال اللغات الأجنبية مكانها، كما حُوربت أيضًا بسلاح العاميات المحلية، وقد تولى كبر هذه الدعوة المستشرقون وعملاء الاستعمار في القرن الماضي ثم تبعهم عليها بعض أبناء هذه الأمة المخدوعين! وكأن الزمان استدار مثلما كان في مطلع القرن العشرين، حينما وقف شاعر النيل «حافظ إبراهيم» يرثي حال الفصحى، في قصيدته الشهيرة التي يقول فيها:

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمتُ فلم أجزع لقول عُداةِ
ولدتُ ولمّا لمْ أجد لعرائسي
رجالاً وأكفاءً وأدتُ بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليوم عن وَصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعاتِ
أنا البحرُ في أحشائه الدّرُّ كامنٌ
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

وقد جاء شعراء كثيرون يعارضون هذه القصيدة، منافحين عن شرف العربية وما ألمّ بها من دعاوى القوم وسوء فهمهم، فهاهو الشاعر الإسلامي «محمد حافظ محمد» يَمُنّ بفضل الفصحى، متمنيًا أن تستأنف دورها في صنع مسيرة الحضارة الإسلامية، فيقول في قصيدته:

ما زال فضلك يستجيش مشاعرًا
نظمت حقائق من لظى المأساةِ
ويعود صوت المدعين ليحتسي
مُرّ المزاعم في كؤوس رُفاتِ
ويجيء دورك في الحياة لتبدئي
هد التقدم فوق متن هُداةِ
فخطى التقدم لا تكون بغير ما
لغة تنير الدرب للخطواتِ.

مقامات الحريري.. درة أدبية فريدة

مجدي إبراهيم - باحث في التراث

في القرن الرابع الهجري- أي في العصر العباسي- ولد فن «المقامة» على يد بديع الزمان الهمذاني، وهو الذي اختار لفظ «مقامة» لحكاياته التي كان يمليها في مسجد نيسابور، ثم ظهر الحريري في القرن الخامس الهجري وكتب مقاماته في أواخر هذا القرن فنالت شهرة عريضة، وأعجب بها كثير من الأدباء أكثر من مقامات الهمذاني.

هذا وقد عُرف لفظ «مقامة» في العصر الجاهلي، وجاءت الكلمة بمعني المجلس،وبمعنى الجماعة الجالسين في المجلس، قال زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم
وأندية ينتابها القولُ والفعلُ

وإذا مارجعنا إلى العصر العباسي، سنجد كلمة «مقامة» استعملت في المعنى الأدبي، ووردت بمعنى الحديث الأدبي المكتوب، وللدلالة على الحديث الذي يلقي في المجلس، وبهذا المعنى استخدمها بديع الزمان الهمذاني في المقامة الوعظية، إذ رأى عيسى بن هاشم شخصًا يلقي حديثًا في المجلس فقال لبعض الجالسين: من هذا؟ فقال الرجل: - غريب قد طرأ لا أعرف شخصه، فأصبر عليه إلى آخر مقامته، واستعمل هذا اللفظ في حديث السائلين الذي يُلقى في جماعة في شكل قصصي يهتم بالإسلوب، ويتخذ راوية وبطلاً، ويرىالبعض أن القصة الحديثة نشأت متأثرة بـ المقامة، وهو رأي وجيه، فكثير من المقامات تنطوي على عنصر قصصي أو مسرحي، ولا نستطيع أن نطبق هذا جميع المقامات، ولكن: من هو الحريري؟

هو: أبو محمد القاسم بن علي محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي، ولد سنة ٤٤٦ هـ بضاحية من ضواحي البصرة تسمى المشان وعاش فيها طفلاً، فلما كبر وشب تحول عنها إلى البصرة ونزل بحي بني حرام، لذا سمي بـ الحرامي.. أما كلمة الحريري، فنسبة إلى عمله، أي أنه يصنع الحرير ويبيعه، عكف الحريري على العلم والأدب، وتزوج وأنجب ثلاثة أولاد وكان يتردد على بغداد في ضيافة الخليفة المستظهر، وفي ضيافة الوزراء الذين أعجبوا به ونال عندهم حضوة كبيرة،

كان الحريري متمسكًا بدينه، وكان مع علمه وفصاحته قذرًا في نفسه وصورته ولست وهيأته،وكان قصيرًا دميمًا بخيلًا بدأ كتابة مقاماته في سنة ٤٩٥، وأتمها في سنة ٥٠٤، وقد كتب خمسين مقامة واتخذ له رواية وبطلًا، أما الرواية أبوزيد السروجي، فقد اختلف مؤرخو الأدب في حقيقته، فرأى بعضهم أنه شخصية خيالية من اختراعه، ورأى البعض أنه شخصية واقعية، ونسب بعضهم إلى الحريري قوله: «أبوزيد السروجي نسبة إلى السروج، كان شيخًا شحاذًا بليغًا، ومكنيًا فصيحًا (متسولًا عن طريق الأدب)، ومعنى هذا أن إبا زيد شخصية حقيقية رآها الحريري، وقال بعضهم إنه كن بصريًا نحويًا صحب الحريري ورؤى عنه الواسطي كتاب «ملحمة الإعراب» الحريري، وتذكر الروايات أن الحريري صنع أول مقامة سماها ««المقامة الحرامية» ثم ذهب إلى بغداد وعرضها على الكبار فأعجبوا بها وشجعوه على أن يضم إليها غيرها، فكتب أربعين مقامة، وحسده البعض عليها وأنكروا أنها من عمله وتحدوه أن يصنع مقامة مثلها فعجز عن ذلك، وعاد إلى البصرة، وأتمها خمسين.. وحينئذ اعترفوا بفضله وعرفوا أنها من صنعه. ونالت المقامات شهرة واسعة وتداولها الناس وأشاد بها الحكام والأدباء، ويقول ابن خلكان: «واشتملت المقامات على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرارها، ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة إطلاعه وغزارة مادته« وكان فخورًا بمقاماته معجبًا بها.. ونجده يكشف عن اعتقاده بتفوقه على بديع الزمان الهمذاني، حيث يقول على لسان بطله:

إن يكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل
والفضل للوابل لا للطل

والاسكندري هو بطل مقامات بديع الزمان، وأبوزيد بطل مقامات الحريري، فهو يرى أن مقامات بديع الزمان كالطل الذي يسبق المطر، وأن مقامات الحريري كالمطر الغزير، فمقاماته أعظم وإن سبقتها مقامات الهمذاني. وللحريري مؤلفات عدة، منها درة الغواص في أوهام الخواص، ملحة الأعراب، شرح الملحة، وله ديوان شعر، أما أشهر أعماله فهي المقامات.

حسده البعض على مقاماته وتحدوه أن يصنع مثلها .. ولما أتمها اعترفوا بفضله

ظروف نشأة المقامات

الحريري هو أول من صنع مقامته الأولى متأثرًا بشيخ من المكدين رآه في المسجد يسأل الناس ويزعم أن الروم أسروا ابنه، فعمل المقامة الحرامية واشتهرت في الناس، فلما طالعها الوزير أنو شروان أعجب بها وكلف أبا محمدالحريري أن يزيد عليها غيرها وكان أنو شروان كريمًا، وقد مدحه الحريري وأورد شعرًا في مدح أنو شروان.. وهكذا يضتح أن الحريري أنشأ المقامة الحرامية، ثم شجعه بعض الرؤساء على أن يضم إلى هذه المقامة غيرها ففعل.

ولا خلافه في أن الحريري كتب خمسين مقامة، ويبدو أنه قصد بهذا العدد أن يضاهي مقامات بديع الزمان- فقد حفظ لنا من مقامات بديع الزمان خمسون مقامة- غير أنه لم يراع ترتيبًا بين مقاماته.

أما الحريري فقد راعى نوعًا من الترتيب في أولى مقاماته في آخرها، ولم يضع مقامته «الحرامية» في صدر مقاماته، مع أنها أول مقامة أنشأها، وإنما جلعها المقامة الثامنة والأربعين بين مقاماته، والحقيقة أنه لا قيمة لوضعها في هذا الموضوع، فنحن لا نلحظ ترتيبًا بين مقاماته من الثانية إلى الثامنة والأربعين، وإنما نرى الترتيب وحسن التخطيط في صدر مقاماته وفي آخرها، وقد بدأ بالمقامة الصنعائية، لأنه يروي أن صنعاء أول بلدة صنعت بعد الطوفان، وفي المقامة الأولى نرى الحارث بن همام (راوي المقامات) يخرج إلى صنعاء اليمن ويدخل ناديًا رحبًا، فيرى شخصًا يعظ الناس ويملك إعجابهم ويحصل على هباتهم ثم ينصرف ويتبعه الحارث بن همام، ويدخل الرجل مغارة فيتبعه الحارث فيراه مجالسًا تلميذًا له يحتسيان الخمر، ويلومه الحارث لمخالفة ظاهره لباطنه، ويسأل تلميذه: من هذا الرجل؟ فيقول التلميذ: هذا أبوزيد السروجي، وأن هذا أول تعرف له به، وهذا مناسب لبداية المقامات، وتتوالى المقامات حتى الثامنة والأربعين لا رابطة بينها ولا ترتيب كما يقول الدكتور أحمدأمين مصطفى في كتابه «الحريري صاحب المقامات» ثم يحسن الحريري خاتمة مقاماته، حيث نرى شيخًا ضعيفًا يحضر ابنه وينبهه إلى قرب ارتحال أبيه، وأن ابنه ولي عهده، ويغض من قيمة

من أعظم منك يا محمد؟

«ألفونس دا لامارتين»
مستشرق فرنسي

لا أحد يستطيع أبدًا أن يتطلع، عن قصد أو عن غير قصد، إلى بلوغ ما هو أسمى من ذلك الهدف، إنه هدف يتعدى الطاقة البشرية، ألا وهو تقويض الخرافات التي تجعل حجابًا بين الخالق والمخلوق، وإعادة صلة القرب المتبادل بين العبد وربه، ورد الاعتبار إلى النظرة العقلية لمقام الألوهية المقدس، وسط عالم فوضى الآلهة المشوهة التي اختلقتها أيدي ملة الإشراك.

لا يمكن لإنسان أن يقدم على مشروع يتعدى حدود قوى البشر بأضعف الوسائل، وهو لا يعتمد في تصور مشروعه وإنجازه إلا على نفسه ورجال لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، يعيشون في منكب من الصحراء.. ما أنجز أحد أبدًا في هذا العالم ثورة عارمة دائبة، في مدة قياسية كهذه، إذ لم يمض قرنان بعد البعثة حتى أخضع الإسلام، بقوته ودعوته، أقاليم جزيرة العرب الثلاثة، وفتح بعقيدة التوحيد بلاد فارس، وخراسان، وما وراء النهر، والهند الغربية، وأراضي الحبشة، والشام، ومصر، وشمال القارة الإفريقية، ومجموعة من جزر البحر المتوسط وشبه الجزيرة الايبيرية، وطرفا من فرنسا القديمة.

فلذا كان سمو المقصد وضعف الوسائل وضخامة الناتج، هي السمات الثلاثة لعبقرية الرجال، فمن ذا الذي يتجاسر أن يقارن محمدًا بأي عظيم من عظماء التاريخ؟ ذلك أن أكثر هؤلاء لم ينجح إلا في تحريك العساكر، أو تبديل القوانين، أو تغيير الممالك، وإذا كانوا قد أسسوا شيئًا، فلا يُذكر لهم سوى صنائع ذات قوة مادية تتهاوى غالبًا قبل أن يموتوا.

أما هو فقد استنفر الجيوش، وجدد الشرائع وزعزع الدول والشعوب، وحرك ملايين البشر فوق ثلث المعمورة، وزلزل الصوامع والبيع والأرباب والملل والنحل والنظريات والعقائد، وهز الأرواح.

واعتمد على كتاب صار كل حرف منه دستورًا، وأسس دولة القيم الروحية فشملت شعوبًا من كل الألسنة والألوان، وكتب في قلوب أهلها- بحروف لا تقبل الاندثار- كراهية عبادة الأصنام المصطنعة، ومحبة الإنابة إلى الواحد

الرسول ﷺ استنفر الجيوش وجدد الشرائع وبنى الدول والشعوب وحرك ملايين البشر فوق ثلث المعمورة وزلزل الصوامع

الأحد المنزه عن التجسيم.

دفع حماسه أبناء ملته لأخذ الثأر من العابثين بالدين السماوي، فكان فتح ثلث المعمورة على عقيدة التوحيد انتصارًا معجزًا، ولكنه ليس في الحقيقة معجزة لإنسان، وإنما هو معجزة انتصار العقل.

كلمة التوحيد التي صدع بها- أمام معتقدي نظم سلالات الأرباب الأسطورية- كانت شعلتها حينما تنطلق من شفتيه تلهب معابد الأوثان البالية، وتضيء الأنوار على ثلث العالم.

إننا لن نصدق أبدًا بذلك.. هل هو كذاب أشر؟

فالكذب في الاعتقاد هو عين النفاق، والنفاق يفتقد قوة الإيمان، والباطل لا يعلو على الحق وإذا كانت قوة التأثير في مجال الصنعة هي الميزان الحقيقي لقوة الدفع فإن الإنجازات التاريخية هي الميزان الحقيقي لقوة الإيحاء، والفكر القوي هو الذي يدعو إلى الأسمى وإلى الأبعد، وإلى الأبدي، ومن يتحلى بهذه الصفات فلابد أن يكون صادقًا ومقنعًا.

وإن سيرة حياته، وتأملاته الفكرية، وجرأته البطولية على تسفيه عبادة آلهة قومه، وشجاعته على مواجهة شرور المشركين، وصبره على أذاهم طوال خمس عشرة سنة في مكة، وتقبله لدور الخارج عن نظام الملأ، واستعداداه لمواجهة مصير الضحية بين عشيرته، وهجرته، وعمله الدؤوب على تبليغ رسالته، وجهاده مع عدم تكافؤ القوي مع عدوه، ويقينه بالنصر النهائي، وثباته الخارق للعادة عند المصائب، وحلمه عندما تكون له الغلبة، والتزامه بالقيم الروحية، وعزوفه التام عن الملك، وابتهالاته التي لا تنقطع، ومناجاته لربه، ثم موته، وانتصاره وهو في قبره- إن كل هذا يشهد أن هناك شيئًا يسمو على الافتراء، ألا وهو الإيمان، ذلك الإيمان الذي منحه ﷺ قوة تصحيح العقيدة.. تلك العقيدة التي تستند إلى أمرين هما: التوحيد، ونفي التجسيم، أحدهما يثبت وجود البارئ، والثاني يثبت أن ليس كمثله شيء، وأولهما يحطم الآلهة المختلقة بقوة السلاح، والثاني يبني القيم الروحية بقوة الكلمة.

إنه الحكيم، خطيب جوامع الكلم، الداعي إلى الله بإذنه، سراج التشريع، إنه المجاهد، فاتح مغلق أبواب الفكر، باني صرح عقيدة قوامها العقل، وطريق عبادة مجردة من الصور والأشكال، مؤسس عشرين دولة ثابتة على الأرض، ودعائم دولة روحية فرعها في السماء، هذا هو محمد.

فبكل المقاييس التي نزن بها عظمة الإنسان، فمن ذا الذي يكون أعظم منه؟

ترجمة: د.محمد المختار ولد أباه- جامعة شنقيط العصرية

حين يُقتل الاحترام بالقسوة

مياسة النخلاني- قاصّة يمنية

كان قلق ريم يتضاعف كلما زاد التوتر من حولها فهاهي الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل ولم يعد أخوها إلى البيت، ومع كل دقيقة تمر يشتد غضب والدها ويبدأ بإلقاء عبارات اللوم على زوجته «فهذه تربيتها» كما تعود أن يردد كلما مروا بمواقف كهذه وكأنها قد أخذت عليه عهدًا أن تكون التربية حكرا عليها وحدها ولا دخل له في تربية أولاده، أم تراها مجرد عبارة يرددها كلما اقترف الأبناء خطأ أو هفوة لتبرير ابتعاده عنهم ومشاركته في تربيتهم وحل مشاكلهم!

كل ما كانت تفكر فيه حينها هـــو كيف سيكون استقبال والدها لذلك الذي خرق قوانين البيت الصارمة وتأخر كل هذا الوقت، فهي للأسف تعرفه وتعرف تصرفاته الخالية من العقلانية والحكمة في مثل هذه المواقف خاصة حين يكون الغضب هو المسلك الوحيد.

أخرجتها من أفكارها تلك طرقات على الباب وبكل تأكيد هي لأخيها الغائب الذي عاد أخيرًا وتمنت حينها لو لم يعد، فبمجرد ملامسة قدميه أرضية البيت فجر والدها- هداه الله- في وجهه كل شحنات الغضب المتراكمة داخله، وأخذ يهينه ويشتمه أمام الجميع لتنتهي جلسة التأنيب تلك بصفعة مدوية استقرت كالصاعقة على وجهه لتفجر الدموع من عيون الجميع فلم يكن سهلا عليهم رؤية أخيهم الكبير يتعرض للإهانة بهذه الطريقة.

أمام هذا الاستقبال الحافل غادر خالد البيت حانقا حزينا، وما يدعو للدهشة والحيرة أن الأب بدأ هجومه عليه دون حتى أن يكلف نفسه عناء السؤال عن سبب التأخير!! فهل هي محاولة منه لإثبات وجوده؟ وكأن الحضور لن يكون قويًا إلا إذا كان العقاب شديدًا؟!

سؤال تبادر إلى ذهن ريم وهي تمسح دموعها.. لماذا لا يحاول الآباء الحصول على الاحترام الذي ينشدونه من أولادهم بالحب والحنان والتصرف الواعي؟! لماذا يضعون كل تلك الحواجز بينهم وبين فلذات أكبادهم ويعمدون إلى تحطيمهم بتصرفاتهم القاسية بدلا من الأخذ بأيديهم ومساندتهم؟

بعد مضي بعض الوقت عاد خالد إلى

نكبة فلسطين في ذاكرة شعراء الكويت

رفعت بروبي - كاتب مصري

بداية كلنا يعلم ما يحدث من أحداث رهيبة تستقطب أنظار العالم أجمع موجزها مخططات الإبادة المنظمة التي تقوم بها قوات الاحتلال الصهيونية والتي كادت أن تكون عمليات تطهير عرقي تستأصل فيها كل العناصر النضالية التي تشكل العمود الفقري للشعب الفلسطيني.

إنها المأساة الإنسانية للشعب المسلوب الإرادة والحرية والأرض والعرض والحقوق الإنسانية، مأساة ارتكبتها أيادي الصهاينة منذ عام ١٩٤٨م ولا تزال فصولها مستمرة حتى الآن.

ولقد كانت لنكبة فلسطين أشد الوقع في نفوس الكُتاب والشُعراء عامة، فجاءت أشعارهم تقطر دمًا وحزنًا على الوطن المسلوب والحق الضائع والشعب الفلسطيني المغلوب على أمره، وفاضت نفوس شعراء الأمة العربية بقصائد الشعر المتوهج، والتعبيرات الرصينة، والكلمات النارية تفضح كيان الصهيونية، وتعري حقيقتها، وتظهرها جلية واضحة أمام الرأي العام العالمي، وهنا نلقي نظرة سريعة على كوكبة ممتازة من شعراء الكويت الذين أثْرَوا الحياة الأدبية عامة، وأثروا في الحياة الثقافية خاصة، إذ كان همهم الأول ومقصدهم الوحيد مساندة الشعب الفلسطيني الضائع والتحدث بلسانه وشرح قضاياه ومحاولة استنصاره وتقوية عزيمته، واستفزاره ليهب ثائرًا على العدو الغاصب، مستعيدًا لحقه في أرضه وماله وتراثه وبلاده عامة.

وكلنا يعلم كيف فتحت الكويت أبوابها لأبناء فلسطين بلا تحفظ منذ النكبة الأولى عام ١٩٤٨م، وقدمت لهم من فرص العمل والاستقرار ما لم يتح لهم في بلد عربي آخر، ولم يكن متاحًا لغيرهم بهذه الدرجة وبهذا الاتساع، وكذلك مسارعة الكويت لحضور مؤتمرات القمة ومساهمتها المادية الكثيرة والكبيرة لدول المواجهة مع

إسرائيل (مصر- سورية- الأردن)، وتلك حقائق معروفة ومثبتة في ذاكرة التاريخ الذي لا ينسى المواقف الخالدة والوقفات الرجولية عامة.

وليس مناقضة للحقيقة أن نقول إن الشعر الكويتي كان عاملاً مؤثرًا من عوامل التنمية الثقافية العربية، مخلصًا للأهداف القومية، معبرا عن روح أمة الإسلام في أفراحها وآلامها قادرًا على اكتشاف آفاق جديدة للفكر بما يرشد مسيرة الأمة الإسلامية الثقافية، فما خفي علينا جميعا اهتمام الشعر الكويتي بقضية فلسطين، و«الشعر الكويتي» يسجل لنفسه علامتي إضاءة منذ وقف بجانب عروبة فلسطين، وغضب واستعداء، وحفز، ورسم الآمال منذ فترة مبكرة جدًا، قد يدهش من لا يعرف أنها ترجع لعام ١٩٣٧م، أما الإضاءة الثانية فهي أنه ظل يصطحب هذه القضية معه أينما ذهب، ولم تكن فترة مرحلة أو ارتباط مناسبة (١).

الشعر الكويتي والقضية الفلسطينية

إن البعد الإنساني في الشعر الكويتي تتجلى إنسانيته في أفق الشاعر الكويتي بما يتجاوز النظرة الإقليمية الضيقة، هذه الإنسانية تتجسد في مستوى الصياغة الشعرية الرقيقة التي تجعل من هذا الشعر نموذجًا للجمال والصدق والهمة معًا، فلقد حقق الشعر الكويتي منزلة جديدة بالتقدير حين تأخذ مكانها في ديوان الشعر العربي بشكل عام ونذكر من هؤلاء الفرسان الشعراء: أحمد العدواني، محمد الفايز، خليفة الوقيان، عبدالمله العتيبي، وأحمد السقاف، خالد سعود الزيد، فاضل خلف، يعقوب السبيعي وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم، ولكن نعرج على نماذج شعرية لبعض الشعراء ممن كافحوا من أجل القضية الفلسطينية، وعمومًا ويكفي الشاعر الكويتي فخرًا أنه أول من تنبه للخطر الصهيوني القادم وطالب بالتصدي له في فترة مبكرة جدًا، فالشاعر «صقر الشبيب» (٢) نشر أولى قصائده في مجلة «السجل» في ١٤ ديسمبر ١٩٣٧م، ومن الواضح أنها استجابة مباشرة للإضراب العام الطويل المعروف الذي قام به العرب في فلسطين في العام السابق ١٩٣٧م، واستمر ستة أشهر، ومن يجب أن تبدأ قصيدته بالنتيجة المرة الأخيرة، إذا تراجع العرب في مواجهة الهجرة لفلسطين، وكذلك التراجع أمام عمليات الاستيلاء المستمرة، قال شاعرنا «الشبيب»:

أيرفَعُ رَأسَهُ العَرَبِي يَومًا
إذا امتلكت فلسطينَ اليَهودُ؟
وهَل عُذرٌ له إن لَمْ تجَده
بِأَغلى مَا لَدَيهِ يَجُودُ
وَراء الخَطبِ هَذَا أيّ خَطبٍ
تُصَانُ لَه النفُوس أو النُّقُودُ (٣)

فكانت هذه القضية المنشور المنظوم والراصد لكل أطراف القضية الفلسطينية، من الأسباب إلى المواقف، والنتائج المؤلمة إذا ما نكص من بيدهم الأمر فلم يؤدوا واجبهم، ثم يدين الشاعر الإنجليز لأنهم دبروا هذه المؤامرة الاستيطانية، وينبه الشاعر «عصبة الأمم» لواجبها، فهي- في نظره- منتخبة لإقامة العدل ولكنها سكتت على ما يلحق بالعرب من بغي وعدوان.

وقولي لي أحُرٌّ كل عضو
انضم لمبناك المشيد
أم الأعضاء فيك- كما اقتضاه
مشاع الظلم - للأقوى عبيد؟
ملوك العرب إن الأمر جد
وإن الله مطلع شهيد

ويدعم الشاعر قوله بتوافر أجناد الحق (الجيوش العربية) وتوافر الإمكانات اللازمة للزحف العربي المقدس:

فإن شعوبكم أجناد صدق
وظل المال فوقكم مديد

ويبين الشاعر أيضًا أن الخطب لن ترد العدوان ولن تسترد فلسطين، وأن العمل والكفاح هو اللغة الوحيدة:

إذا دوت الرعود بغير قطر
فهل تجدي ذوي المحل الرعود (٤)

وقد كتب «صقر الشبيب» عن فلسطين ست قصائد طوال أولها تلك التي عرضنا لشيء منها، وفي قصيدة أخرى له نشرت بعد شهر من القصيدة السابقة يطور مطالبه للمرؤساء العرب بحشد إرادتهم لنجدة فلسطين:

ستبقى على الأحقاب حقبًا إلى حقب
خيالاً على رغم المنى وحدة العرب
وأي أمور الناس وحد بينهم
إذا لم توحد بينهم شتى الخطب
ولا خطب يبلي صبر كل أخي نهى
كريم ويطوي القلب منه على ندبٍ
كهذا الذي يضحي ويمسي محولاً
«فلسطين» من كرب شديد إلى كرب (٥)

لقد أبدع الشبيب بطريقته النظمية عام ١٩٣٨م وربما قبل أن يصارحنا بها شاعر آخر، ويحذر شاعرنا العرب من أن فلسطين قد تكون أول حلقة في سلسلة الاحتلال الأجنبي للدول العربية والإسلامية:

لعمر أبي ما «الإنكليز» بمنته
لهم مطمع إلا بناة منَ الرهب
فليست «فلسطين» بآخر حسوة
تبل صدى الأعداء بل أو الشرب
وإن لم تعضّوهم بها وتروهم
مرارة ما ظنوا من السائغ العذب
ليلفظ منها ما أراد إزراده
فمُّ عاده بلع اللذيذ من النهب

إننا لا نكاد نجد شاعرًا كويتيًا ليست له قصائد عن فلسطين، ونذكر شعراء الجيل الماضي «فهد العسكر، خالد الفرج، عبدالله سنان، عبدالله حسين الروحي، فاضل خلف وغيرهم، وأننا لسنا بحاجة لذكر أشياء ثابتة ومعروفة إذا كان المثقف الكويتي في صورة الشاعر أو الملبين بالشعر لنداء فلسطين والوقوف معها واستصحابه لقضية فلسطين إلى كل محفل وموقع، وتبني الصوت الفلسطيني أينما ارتفع، ففي شهر ديسمبر١٩٨٧م كانت «ثورة الحجارة» تأخذ مكان «المانشيت» الرئيسي في صحف الكويت «الأنباء، الرأي العام» وغيرها، وكذلك المجلات مثل «الوعي الإسلامي» التي أفردت وبسخاء شديد صفحاتها وملفاتها الأدبية والصحافية لخدمة انتفاضة الحجارة، مدعمة بذلك بالصور والنداءات، وكان تلفزيون الكويت يذيع أغنية مصورة عن «ثورة الحجارة» أعدها الفنيون

فيه، كما كانت كلمة ممثل وفد الكويت في المحافل الدولية والمهرجانات معبرة عن مشاعر أهل الكويت وكل العرب تجاه القضية الفلسطينية، أي باختصار كان الشاعر الكويتي يصطحب «هم المشكلة الفلسطينية» أينما ذهب وارتحل وعن ذات الانتفاضة، فاضت نفس الشاعر «خليفة الوقيان» بقصيدته «البشارة» وفي التسمية علاقة ودلالة، يقول مطلعها:

الأرض ترجمهم حجارتها
ويفقأ عينك شوك النخيل
في القدس في «العشار» في «ميسان»
في أنحاء
(غزة) في الخليل!
يتعانق الحجر التبيل

وكأنما رأى الشاعر أن انتفاضة الحجارة، هي وجه آخر للصمود ضد أعداء العروبة..

وكذلك يشاركه ذات الهم العربي الشاعر «فاضل خلف» في قصيدته «نهر مجردة» مساندته للنضال التونسي في «ساقية الأحرار» ثم لفلسطين:

فهل لك في نصر جديد محجل
يضيف إلى ماضيك صرحًا ممردًا
«فلسطين» قد حل البلاء بساحها
يُحاربها الأهلون والدهر والعدا
وهذا أوان البذل يا ابنة «عقبة»
فمدي إليها من بطولتك اليدا
وقولي لقاء اليوم في أرض «تونس»
وفي مهرجان «القدس» موعدنا غدا

إلى هذا الحد بلغت ثقة الشاعر بقرب حلول موعد النصر وحثه على الجهاد كي يستجيب القدر وكأنه يستحضر روح الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي من خلال قصيدته المعروفة بيننا

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر

أما الشاعر «محمد الفايز» فهو الذي تأسى كل الأسى لأحداث فلسطين ولبنان أيضًا فراح يغني لبيروت في أشعاره ومنها ديوان «بقايا لبنان»:

ألا لهفي على الجيل المُعنّى
فقد أمسى حزين الكبرياء (٧)

إذ يرى الشاعر أن لبنان ليس ضحية نفسه وإنما ضحية إخوته العرب.

فإخوة يوسف جاءوا أباهم
وهم يبكون يوسف في العشاء
ومازال القميص به دماء
وآخره مزقوه من الوراء

وفي ذات المضمار يطالبنا الشاعر «عبدالله العتيبي» بأبياته الصارخة والداعية للبحث عن جواب، في قصيدته «شارة مهمة» (٨):

عن القدس تسألني الأزمنة
وكل المسافات والأمكنة
وكل المساجد.. كل المنابر
كل القباب التي لفها اليتم

ثم يقول:

يا للسؤال الذي يطفئ العمر في لجة الانكسار
عن القدس ماذا أقول؟

إنها المواقف التالية للمثقف والأديب الكويتي- المواقف المستجيبة لكل تحول في القضية الفلسطينية، فنرى في تتابع الشعراء البطولات النادرة وصدق العزيمة والتصدي والأمل لأعداء العرب والمسلمين، ولكم شهد «المريد» (٩) المؤتمرات الشعرية التي أترى فيها شعراء الكويت كل احتفالية شعرية تقام بل وكان شعراء الكويت بتفردهم وتميزهم مكانتهم الأدبية أولا ثم بنتاجهم الشعري الذي يلهب الأسماع ويلخص المشاعر في قصائد شعر حيوية تنبض إبداعًا وإقناعًا وثورة عارمة على أعداء الأمة والمسلمين جميعًا.

وعندما يجد الشاعر أناسًا في غمرة لهوهم، ناسين القضايا الكبرى كقضية يبدأ الشاعر في ايقاظهم من ثباتهم وتنبيههم للخطر المحدق بهم فيقول الشاعر «أحمد السياف» مخاطبًا التونسي المثقف أن يفكروا في فلسطين وأن يرتبوا علاقتهم على هذا الأساس فإذا كانت «تونس» قد عانت من الاستعمار فإنه من الخطأ أن تنسى تجربتها الخاصة إذا ذكرت فلسطين:

ما نسيناكم ففي وجداننا
لكمو شيدت بروح وقباب
أشربتم بعض وقت علقما
فشراب العرب في المشرق صاب
منذ نصف قرن عشنا نكبة
ملؤها بؤس وظلم واغتصاب

إنها الرؤية الصامتة للقضية الفلسطينية التي شغلت وجدان شعراء الكويت فراحوا في سباق مشرف يسارعون للمؤتمرات الأدبية، يحيونها شعرًا رصينًا- شارحًا أبعاد مأساة فلسطين المعاشة.

كل ما سبق سرده من نماذج شعرية لأدباء وشعراء الكويت كان غيضًا من فيض، وعرفنا توجهات الدور الثقافي للكويت، الممتزج بالبعد الإسلامي والإنساني والذي يشغل مساحة ضخمة من الإنتاج الأدبي على مستوى الوطن العربي عامة، ومن المشرف أنه ما من شاعر كويتي إلا وفي ديوانه نصيب واضح لقصائد عن فلسطين، أو الجزائر أو اليمن، وغير ذلك من القضايا العربية، وهو أكبر دليل على توحد المجتمع الكويتي في الأزمات كافة والاهتمام بثوابت الوجود العربي الإسلامي الذي يشمل الدين، واللغة، والقيم الأصيلة، فهنيئًا لكم شعراء الكويت وطنيتكم الصادقة ومشاعركم النبيلة التي تغلف قلوبكم وتنطق ألسنتكم بأروع الكلام.

الهوامش

١- «الكويت والتنمية الثقافية العربية»- د. محمد حسن عبدالله، والكتاب سلسلة عالم المعرفة صادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت (صفر ١٤١٢- سبتمبر ١٩٩١م).

٢- صقر بن سالم الشبيب، شاعر الكويت (١٨٩٢ - ١٩٦٣) وكان محافظًا في شعره، جمع ديوانه وحققه «أحمد البشر الرومي»، عبدالستار فراج عن مكتبة الأمل بالكويت.

٣- ديوان صقر الشبيب، ص ١٨٩، والقصيدة تحت عنوان «الأعمال لا الأقوال».

٤- هذه الصورة الفنية القائمة على القياس مستمدة من البيئة الطبيعية في الكويت فقد كان المطر في ذلك الوقت- المصدر الأول لمياه الشرب والزراعة وهو صورة تراثية أيضًا.

٥- ديوان الشاعر «الخروج من الدائرة»، ص ٣٩ .

٦- ديوان الشاعر فاضل خلف وقد شغل وظيفة المستشار الثقافي بسفارة الكويت في تونس- وقصيدته «نهر مجردة» ص ٦٥ ومجردة نهر في تونس، كتب الشاعر عنه قصيدتين، قصيدته (نهر مجردة) ٦٥، و«على ضفاف مجردة» الذي حمل الديوان اسمها ص ٨٢ .

٧- ديوان محمد الفايز «بقايا الألواح»، ص ٤ .

٨- ديوان «مزار الحلم»، ص ٥١ .

٩- المريد: ضاحية صحراوية من ضواحي «البصرة» أقام بها الفرزدق بيتا وابتنى «جرير» لنفسه بيتا أيضا، وقد عمل العراق على إعادة الاسم باعتباره كان سوقًا من أسواق الشعر ودأب على عقده سنويًا في بغداد، وكان يجمع له الشعراء العرب من كافة الأقطار.

١٠- ديوان الشاعر أحمد السياف بعنوان «تونس»، ص ١٩٨.

عبقرية اللغة العربية الفصحى وكمالها (٢-٢)

عبدالله آيت الأعشير - باحث مغربي

إذا كانت العربية الفصحى بهذه المنزلة من دون تمار أو ريّب، وكان الأوائل حُرُصًا عليها أشد ما يكون الحرص، ناهضين بها، ومكبِّرين لشأوها المُغرِّب، فإن ثلة من المحدثين العرب والمستشرقين كان لهم الفضل في إعادة السهم إلى النَّزعة وإرجاع الحق إلى ذويه، مؤكدين أن العربية ما تزال روضة ذفراء، وبحرًا لُجِّيًا لا يقذف إلا دُررا مُستفْرَهة، حيث إنها: «أرقى اللغات السامية، كما يقرر دارسو تلك اللغات، فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية، ولا غيرهما من هذا الفرع السامي. وهي كذلك من أرقى لغات العالم، فهي تمتاز- حتى عن اللغات الآرية- بكثرة مرونتها، وسعة اشتقاقها. فإذا قِيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ مَتعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص، بما يقابلها من كلمة إفرنجية وما يشتق منها، كانت اللغة العربية في ذلك- غالبا- أوفر وأغنى».

اللغة العربية بناء شامخ لم يتصعَّدْها ويشقّ عليها التعبير عن كل جوانب الفكر في العهود الأولى، حيث استطاعت أن تحافظ على تراث الإنسانية، وأن تستوعب مختلف الآثار الفكرية والعلمية والفنية من دون أن تستنجد بتوليدات اللغات الأخرى، لأنها لغة شاعرية كما أكد العقاد. ألفاظها منسقة على نحو خاص مثل سبائك الذهب، منوعة المخارج، وقليلة الأحرف التي تتركب منها، ناهيك عن الحرص على تحقيق التوافق بين الصدى الصوتي، وبين المعنى في إطار ما يسمى التمثيل الصوتي للمعنى. بل إن في «اللغة العربية استعدادًا للرؤية الجوانية، يتذوقه من نشأوا على التحدث بها. وفي العربية بفضل تركيبها الداخلي وطراز الخلوة الذي توحي به، قدرة خاصة على التجريد والنزوع إلى الكلية والشمول.. ثم إن اللغة العربية لغة الغيب والإيحاء: تعبر بجمل قصيرة مركزة عمّا لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه إلا في الجمل الطويلة الفضفاضة».

أما المستشرق (هنري لوسيل) فيرفع عقيرته مؤكدا أن للعربية «ثروة من الاشتقاق من الأصل الواحد، وتقدم العربية أيضا نسقًا من قواعد الإعراب بسيطا، وفيه قدر كبير من المرونة، كما تُقدّم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ونسقًا من الأفعال يتسم بالبساطة.. هذه الخصائص وغيرها تزود المتعلم- عن غير وعي

منه- بتصور للتعبير الإنساني جديد حقًا، وفيه خصوبة وثراء».

هذا ما شهد به أهل الدار والأعداء بالنسبة إلى جمال العبارة العربية التي تبدو في أثناء الحرص على الازدواج والإتباع مثل حتين المزهر، إذا نقرت أحد أوتاره رنت باقي الأوتار محدثة هزة نفسية، هي بلا ريب من تأثيرات السمع الساحرة، ولذلك قال الجاحظ: «نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول» بهذا يحق للعربية الفصحى أن تجر على غيرها من اللغات أذيال العز والمباهاة والجمال، إذ لو لم يكن للفصحى غير القرآن، لكان كافيًا أن يخرس شقاشق سائر اللغات، فهو الذي كللها بالحسن والبهاء، وجللها بالرقة والبيان في أكمل صورة، بل إن القرآن الكريم هو الذي حولها في أثناء انكماشها وضمورها في عهود الانحطاط والاحتلال الأجنبي من مجرد لغة مقحوطة، إلى لغة ثرية غضة مثل غصن أملود تسري فيه أمواه الحياة الجديدة، لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا، ألفاظ تذوب رقة، وتقطر براعة وجمالا، في براعة السبك، ودقة الوصف، وجودة اللمحة المعبرة التي تأتي بأوسع ما تجود به الإطالة. فإذا وُجد في العالم العربي مَنْ ماسَحَه الغربَ وألقى على عينيه غشاوة، فعمي عن رؤية هذه المزايا النيِّرات، فبدأ يخرج من مصانعه اللغوية المقحوطة كلاما طويل الذيل قليل النيل، مُلصقًا بالعربية أقسى النعوت، داعيًا إلى جعلها بمثابة الخادم الذي يُرتَفق به لأنها ليست- في نظره- لغة العلم والتقنية والاتصال، ولذلك يجب أن نستبدل بها الإنجليزية والفرنسية، فما ذلك إلا من تداني الهمَم، والانبهار الأعمى، والجهل بالطاقات الهائلة التي توفرها الفصحى للتعبير الدقيق المستوفي لشروط التحديد، ناهيك عن الشجى، إذ كرهوا الجمع بين الساكنَيْن، أو المتحركَيْن المتضادَّيْن، كما كرهوا الملاقاة بين صوتَيْن لا يأتلفان ولا يلطف التفوُّه بهما. ولنا في القرآن الكريم إسوة حسنة في عذوبة ألفاظه وطلاوتها، ورقتها عندما يكون السياق مدعاة للرفق واللين. وعندما يدعو الموقف إلى القوة في إظهار الحق تبدو الألفاظ جزلة متينة، بحيث إذا تلطف القرآن وترقق، فإنه يبدو كلامه مثل حتين أوتار العود، وإذا تجزل فهزيم الرعود. يروى أن نصرانيًا مر بقارئ للقرآن، ثم وقف مدة وأجهش بالبكاء، فقيل له: مم بكاؤك؟ فقال: الشجى والنظم! إنه النظم الذي تنزَّلت فيه كل لفظة منزلتها، لا ترى فيها عوجًا ولا أمْتًا، أفرغت فيها المعاني النيرات إفراغًا بديعًا عذب المذاق، بارع المساق، ولاسيما عندما تحرص العبارة العربية على الازدواج والإتباع، حيث تحدث الألفاظ والعبارات ما يشبه رنات أوتار المزهر التي تهز السامعين. وقد حَرَص العرب على احتداء وتمثل طريقة القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في ألفاظهم وعباراتهم التي أتَوْا فيها بالمتخير اللباب. انظر إليهم في تسمية الخيل من الخيلاء، والغنم من الغنيمة، والذهب من الذهاب، والناقة من التأنق والأناقة، والجمل من الجمال، لأن «الناقة كانت عندهم مما يتحسنون به، ويتباهَوْن بمُلكه، فهي (فعلة) من قولهم: تنوقت في الشيء إذا أحكمته وتخيرته.. وعلى هذا قالوا (جمل) لأن هذا (فعَل) من الجمال، كما أن تلك (فَعَلة) من تنوقت، وأجود اللغتين تأنقت، قال الله سبحانه: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل: 6)، ولست أزعم أنني أشق كمَّ جديد إذا قلت إن الفصحاء اللاسنين لما رأوا ضروب التفنن والجمال التي يبديها هذان المخلوقان (الناقة والجمل) في أثناء سيرهما، لم يجدوا بُدًّا من نعت هذا السير بالرَّقص، الذي أخذوا منه صفة للراقصات المائلات، في أثناء ممارسة فن الرقص.

هذا هو واقع اللغة العربية الفصحى أيام جدَّتها، عندما انبسطت آفاق الفكر، وأخذ العرب بأسباب التقدم، وامتدت أفياء الحضارة، لم تضطر العربية- يومئذ- إلى الاستنجاد باللغات الأجنبية لجبر نقصها ببَنين وحَفَدة ليسوا من نسلها، وأبنائها البَرَرة، فإذا اضطرتهم الحاجة إلى استدخال لفظ أو اصطلاح أجنبي إلى حظيرة الفصحى، أجروا عليه تعديلات تجعله متلائما مع طريقة النطق، بحيث تقص أطرافه ويحذف مستبشعه ومستكرهه، حتى يصبح عربي الزيِّ، قد رضع العروبة من لبان أمه الرؤوم. أما ما يفعله بعض الشُّداة الأغتام- اليوم- بالعربية من استعارة الألفاظ والاصطلاحات واعتلائها من دون أن يصادف ذلك مصلحة، وقمّشها محطوبة شعثاء غبراء، وتركها تعيث فيها اللهجات العامية فسادًا، فذلك هو العيُّ والحصر، وتلك هي الذلة والمسكنة التي نعدو إليها في قادمات الأَجَدَّان- وقانا الله شر هذه العاقبة- ولا سيما أن هذه الفئة بعد أن انفتحت في وجوههم أبواب الإنجليزية والفرنسية، راحوا يهجِّرون سيلا جُرافًا قُحافًا من الألفاظ الأجنبية، يلطخون بها ثوب العربية القشيب، رغبة منهم في جبر نقيضة أوسدٍّ ثَلَمة، لا مسوغ لها سوى أنهم لم يعرقوا في البحث، ولم يستذرعوا أمَّات المعجمات والرسائل اللغوية، ولم يكابدوا عرق القربة، ولم يسلكوا السبيل اللاحبة الناهجة في وضع أسماء واصطلاحات للمخترعات التي تتفتق عنها قرائح العلماء الذابرين، وهي حالة أُخلِقَ بها أن تكون وليدة الجهل والمروق من طاعة العبقرية اللغوية العربية، والتنازل المجاني عن ذاتيتنا وهُويتنا العربية، ونظرتنا للحياة «فأنت لا تستعمل الكلمة إلا ووراءها ماض عريق في الحضارة والفكر والاستعمال اليومي، ولا تستعملها إلا مع الوحي الذي توحيه لكل الذين استعملوها منذ كانت كلمة، وبكل ما شحنوها به من دلالات، ولا تستعملها إلا مع العبقرية التي عاشت فيها هذه الكلمة، إنها عبقرية تتعدى «الوسيلة» إلى الهدف، وبهذه العبقرية تتحدث كل من اللغة التي نستعملها. فنحن حينما نستعمل اللغة العربية لا تتخلى وهي في أقلامنا أو نطقنا أو إدارتنا عن عبقريتها الموحية، وحينما نستعمل الفرنسية لا تتخلى أيضا عن عبقريتها الموحية، ولو استعملناها في أسماء الحضارة، أو في الأدوات المنزلية...»، لأن لكل لفظة طاقة مشحونة بالمشاعر والأحاسيس والفكر، فهي لا تشبه اللباس نلبسه ثم نخلعه متى شئنا، بل هي مجموعة من الشحنات المنغرسة في النفس التي لا تنفصل عن هويتنا وإدراكنا للحياة من حولنا.

انظر على سبيل المثال إلى عبارة: «برُمَّته» التي نرددها صباحًا ومساءً، ونحن نقصد: «الأمر جميعه» ألا ترجعنا- بوعي أو من دون وعي- إلى قولة ذلك البدوي الذي باع ناقته، فقال للبائع: خذها برُمَّتها، أي: خذها بالحبل البالي الذي في عنقها؟ لاشك أن المشتغلين بتأثيل الكلمات يدركون

الكيفية التي انتقلت بها دلالة هذه العبارة من «الحبل البالي» إلى «الأمر جميعه» كما في قولنا: احترق المصنع برمته، أو استحصد الحقل برمته. وكذلك الألفاظ الآتية التي تعتَورُها ألسنتُنا من دون أن يعرف- أغلبنا- أصلها البدوي، والطريقة التي سلكتها في انتقال دلالتها مثل: (المبرِّز، والحاجة، والمضمون، والخرافة، والقرْم، والوحر، والعلبة، والعجلة، والمخنَّث، والمليق، والورطة، والمنحة، والقرين، والقطار، والراقصة، والسطر، والصحيفة، والقمرية، والبطاقة...) إذ المُبرِّز كما ورد في باب (السوابق من الخيل) من كتاب (مبادئ اللغة): الخيل التي تسبق «فإذا سبق وباين ما خلفه، فهو المبرز»، والحاجة من الحاجِّ: «شجرٌ له شوك، وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالأشياء، فأي شيء مَرَّ عليه اعتاقه وتشبث به. فسميت الحاجة تشبيها بالشجرة ذات الشوك أي أنّها مقيم عليها، متمسك بقضائها، كهذه الشجرة في اجتذابها ما مرَّ بها، وقرب منها، أما المضمون فإن دلالته الوضعية تعني ما تتضمنه أصلاب الفحول من اللقاح. والخرافة هي نسبة إلى رجل اسمه خرافة وهو «من عذرة استهوته الجنُّ، فكان يحدث بما رأى، فكذبوه وقالوا: حديث خرافة». والقرم «بفتح القاف وسكون الراء السيد، وأصله الفحل من الإبل». والوَحَرُ من الوحرة وهي: «دويبة حمراء تلصق بالأرض، ومنه قيل: وَحرَ صدر فلان علميَّ. شبهوا لصوق الحقد بالصدر بلصوقها بالأرض». وهكذا بالنسبة إلى جميع الألفاظ الآنفة الذكر التي ترجع دلالتها الأصلية إلى ما يتداوله العربي البدوي في بيئته من أقداح من الجلود أو الخشب بالنسبة إلى لفظة (العلبة)، أو الآلة والخشب التي تُؤلَّف لتحمل عليها الأثقال بالنسبة إلى (العجلة)، أو فم القربة والسقاء عندما يكسر وينعطف بالنسبة إلى لفظة (المخنث)، أو القطن والصوف الذي يلصق به المداد بالنسبة إلى لفظة (المليق) من لاق الشيء بي: أي حسن ولصق بي. وهلم جرا مما يُرهِق تتبعه ويُتْعب...

لا ريب أن هذه الألفاظ – وغيرها كثير– هي خلاصة تجربة الإنسيَّة العربية وعبقريتها، التي لا يمكن أن نستبدل بها غيرها، إلا إذا كنا مستعدين للتنازل عن هويتنا. إنها ألفاظ بدوية لا تزال تتمتع بحقوقها المدينية للعيش في عصر العولمة، بعد أن نزعت عنها أسمال البداوة، مكتسية مطارفَ رائقة المنظر، يظن من يتعرف إليها أنها وليدة العصر، بيد أنها تضرب في البداوة بجِران مثل: القطار، والقرين، والمنحة، والرَّاقصة، والكفأة، والذود، والهُنَيْدة... التي ترجع دلالتها إلى لفظة (الإبل). فهل تستطيع العبارة المعاصرة الآتية: «ترك السيارة حرة من دون أن يضغط على الحصار» أن تطربنا كما تطربنا العبارة البدوية الآتية: «تمرك لها الحبل على الغارب»؟ لاشك أن في العبارة البدوية شيئًا يشبع حاجاتنا، على الرغم من أن الإبل حيوان يكاد يختفي من واقعنا المعيش، ولكن نجد للعبارة البدوية لذة جُوانية لا تقبل الوصف، وقد فضُلتْ هذه العبارة بشيء تشهد به الفطرة، ولا يستطيع العقل أن يبرره، لأن هذه الفطرة هي التي أودعت في مثل هذه العبارة أسرارًا تختزن تاريخ الأمة وحضارتها، ولذلك يجب الوعي بأسرار هذه العبقرية التي تندمغ فيها ذخائر الفكر والتاريخ والدين والبيئة التي تنتقل من الأسلاف إلى الأخلاف، دون أن تفقد سحر الحياة التي تجعلها قادرة على الاستمرار والتوالد، لأنها لم تقطع حبل المَوَدَّة بينها وبين نُطَفها ومُضَغها التي تجدد لها الحياة، فتتولد من ذخيرتها جواهر الألفاظ اللطيفة الرائقة التي تغنينا عن الاستنجاد بألفاظ اللغات الأجنبية لجبْر نقيصة وهُميَّة، لا توجد إلا في أذهان ثلة من المنشَئين الألفاف الذين يخططون لإشاعة لغة عربية غريبة النِّجار عن المحْتِد العربيِّ، أو على الأقل لغة تتنصل وتتنسل من مرجعيتها وأصولها كما تتسل الحية من خرْشائها، حتى ينتهي بها التطوير المزعوم إلى تقطيع أوصالها وانقطاعها عن الأصل الذي ضمن لها مع كرور المَلَوَان خاصية الكمال التي جعلتها قادرة على التوسع في معاني المفردات القديمة، واستحداث دلالات جديدة، منطلقة من كمالها ومرونتها وقدرتها على الاستجابة لمطالب العصر، من دون مغادرة الأصل. وتتجلى هذه الطواعية، وهذا الكمال أوضح ما يكون التَّجلي في ثرائها المعجمي، وقدراتها الاشتقاقية والتوليدية، وكفاءتها في التعريب، وشجاعتها في الاقتراض لأجل الاستمرار والنماء، وفتْق أكمام المعرفة العلمية والتقنية التي لم يكن لها سابق معرفة بعوالمها، ومن ثمة تمكنت بفضل جهود المخلصين الصابرين من ارتياد آفاق البحث والتَّقصِّي، والإضافة المحركة للألباب الراغبة في إشاعة العلم والمعرفة التقنية والسياسية والاقتصادية، فأحْيَت الأمة من رقدتها، وبعثت في شرايينها دماء الحياة، وغذَّت تفكيرها، وأحكمت بناء نسيجها الذهني والثقافي والديني على أساس القاعدة الإسلامية المشتركة من الخليج إلى المحيط.

هذه ملامح من موضوع عبقرية العربية الفصحى وجمالها وكمالها، نظرت إليها نظرة الطائر التي أوقفتني عند هذا الحد الذي يظهر أن إحياء الألفاظ القديمة البالية، يزيد العربية جاذبية وأسْرًا، ويحبِّبُها إلى أبنائها، لأن الذي لا يحب لغته ولا يعشقها، تهون في نظره أسباب بقائها، ويتساهل في فقدان كلماتها حتى ينتهي به المطاف إلى فقدان الهُوية، وهذه هي أحد أهم الأسباب الداعية إلى زوال الأمة وذلتها. وقديمًا قيل: ما ذلَّ شعب إلا ذُلَّتْ لغته. وقانا الله شر هذه النازلة المزلزلة لحياة الأمم وكيانها.

ولقد اتضح مما أثبتنا آنفا أن قضية اللغة تمثل معركة المصير التي يجب أن يُستأنف القول فيها على الدوام، لتبديد كثير من الأوهام التي تقال في حق العربية الفصحى من دون احتراس، قبل أن تنكسر الإرادة وتخور العزائم، فتتقذ الأمة من اليأس والقنوط والضياع، وتُصان الهوية من الاختراق المجاني الكسول، ثم ينمَّى في الأفراد والجماعات روح الاعتزاز بالعروبة، والدفاع عن العربية، وتزود بالغُدَد المُقَوِّية لمناعة الخلايا المضرة للغات المُهدِّدة ، وتقوى الدلالة الانتمائية للعروبة، بدل التسوُّل وطرْق أبواب اللغات الأخَر نستنجد بها لرتق أوهام معرفية لا توجد إلا في أذهان فئة المُزْوَرِّين عن حب العربية الذين يصرون على وضع عُصاب على أعينهم، لكي لا يبصروا جمالها وعبقريتها وكمالها، حتى أحرزت اللغات الأجنبية نصرًا مبينًا، أوقع الروع في نفوس غير قليل من أبناء العروبة.

بالمدينة المنورة.
٣- وللآمدي (ت٦٣١) كتاب نقد فيه مواضع من المحصول واسمه: «المآخذ على المحصول». وقد حقق في جامعة الأزهر.
٤- ولسراج الدين الأرموي (ت٦٨٢) كتاب في ذلك أيضا واسمه: «مقاصد العقول من معاقد المحصول». له نسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم (٣٠) آخرها في أثناء الكلام عن الأوامر.
ثانيا: مختصرات المحصول: وهي سبعة
١- اختصره الرازي نفسه في كتاب «منتخب المحصول». وقد حققه الدكتور عبدالمعز حريز في رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد شرح القرافي المنتخب وأحال عليه في نفائس الأصول (١٧٣٤/٤) لكنه أنكر نسبته للرازي (نفائس المحصول (١٠٥/١)).
٢- واختصره أمين الدين المظفر التبريزي (ت٦٢١) في «تنقيح محصول ابن الخطيب في أصول الفقه». وقد حققه الدكتور حمزة زهير حافظ في رسالة علمية بجامعة أم القرى بمكة.
٣- واختصره نجم الدين النقشواني (ت٦٥١ تقريبا) في «تلخيص المحصول لتهذيب الأصول». وقد حققه الدكتور صالح بن عبدالله الغنام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٤- «الحاصل من المحصول» لتاج الدين الأرموي (ت٦٥٦) وقد طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق الدكتور عبدالسلام محمود أبوناجي (دار المدار الإسلامي). واختصر البيضاوي هذا الكتاب في «منهاج الوصول إلى علم الأصول»، قال الإسنوي (ت٧٧٢): «واعلم أن المصنف (البيضاوي) رحمه الله، أخذ كتابه من الحاصل للفاضل تاج الدين الأرموي» (نهاية السول بشرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. ص/٥). وقد طبع المنهاج عدة طبعات منها طبعة بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل في مجلد لطيف (دار ابن حزم)، وأما

الرازي جمعه من أربعة كتب وهذه شروحه واختصاراته

شروحه فكثيرة، والذي وقفت عليه مطبوعا أو مخطوطا من ذلك هو:
أ- معراج الوصول في شرح منهاج الوصول للأيكي الشيرازي (ت٦٩٧)، حققه الدكتور هاني الجبير والدكتور محمد غرم الله الفقيه، ولم يطبع بعد.
ب- شرح لظهير الدين عبدالصمد الفاروقي (ت٧٠٢)، مخطوطته بدار الكتب المصرية.
ج- معراج المنهاج لشمس الدين الجزري (ت٧١١)، وهو شرح مختصر سهل، وقد طبع في مجلد بتحقيق الدكتور شعبان محمد اسماعيل (دار ابن حزم).
د- شرح عبدالله بن محمد بن غانم برهان الدين العبري (ت٧٤٣) وقد حققه الدكتور حمد الصاعدي والدكتور

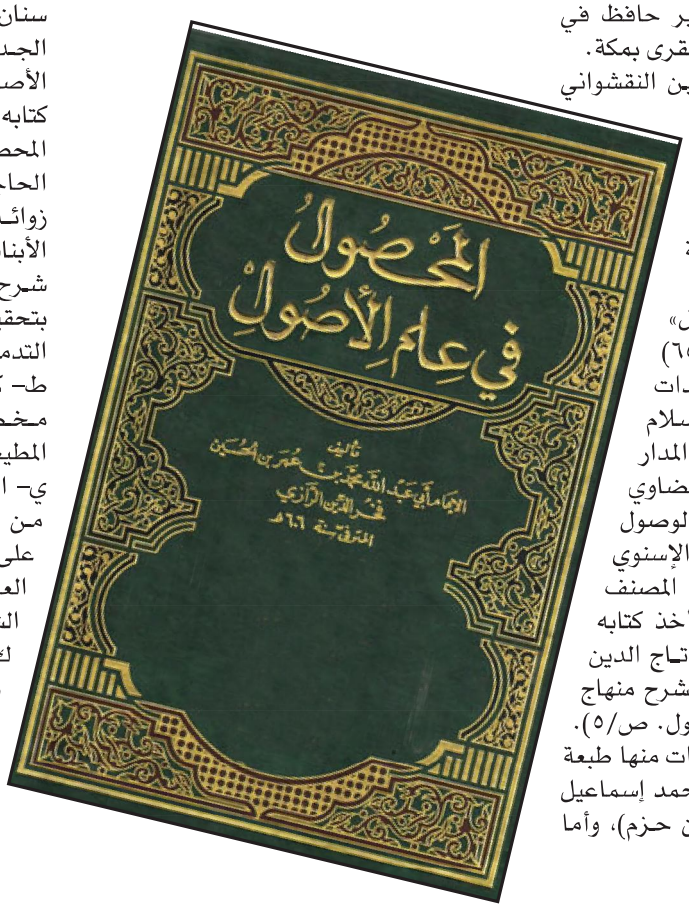

سلامة الأحمدي في رسالتين بالجامعة الإسلامية.
هـ- السراج الوهاج شرح المنهاج للجاربردي (ت٧٤٦)، وهو شرح مختصر فيه بعض التحريرات النفيسة، وقد طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور أكرم بن محمد أوزيقان (دار المعراج).
و- شرح المنهاج لشمس الدين محمود الأصفهاني (ت٧٤٩)، وقد طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور عبدالكريم النملة (مكتبة الرشد).
ز- الإبهاج شرح المنهاج للسبكي (ت٧٥٦) وابنه (ت٧٧١)، وهو أوسع شروح المنهاج وأحسنها، وفيه من التحريرات الأصولية ما ليس في غيره من كتب الأصول، وقد طبع في سبعة مجلدات (دار البحوث للدراسات الإسلامية- دبي).
ح- نهاية السول في شرح منهاج الوصول للإسنوي (ت٧٧٢) - وهو أشهر شروحه، طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور شعبان محمد اسماعيل (دار ابن حزم). كما ألف الإسنوي كتاب «زوائد الأصول على منهاج الوصول» طبع بتحقيق محمد سنان الجلالي في مجلد (مكتبة الجيل الجديد)، والغرض منه ذكر المسائل الأصولية التي لم يذكرها البيضاوي في كتابه المنهاج وذكرها الإمام الرازي في المحصول أو الآمدي في الإحكام أو ابن الحاجب في المختصر (مقدمة تحقيق زوائد الأصول. ص/١٢٨) وقد شرح الأبناسي (ت٨٠٢) الزوائد في «الفوائد شرح الزوائد» وقد طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور عبدالعزيز العويد (دار التدمرية).
ط- كافي المحتاج لابن الملقن (ت٨٠٤)، مخطوطته بمكتبة محمد بخيت المطيعي.
ي- التحرير لما في منهاج الأصول من المنقول والمعقول- وهو تعليقات على مواضع من المنهاج - لأبي زرعة العراقي (ت٨٠٦)، وقد حقق في كلية الشريعة بالقاهرة.
ك- الإبهاج في شرح المنهاج لأحمد بن إسحاق الشيرازي (ت٨٦٣)، حققه أحمد جاسم الراشد في الجامعة الإسلامية.
ل- تيسير الوصول إلى منهاج الأصول لابن إمام الكمالية

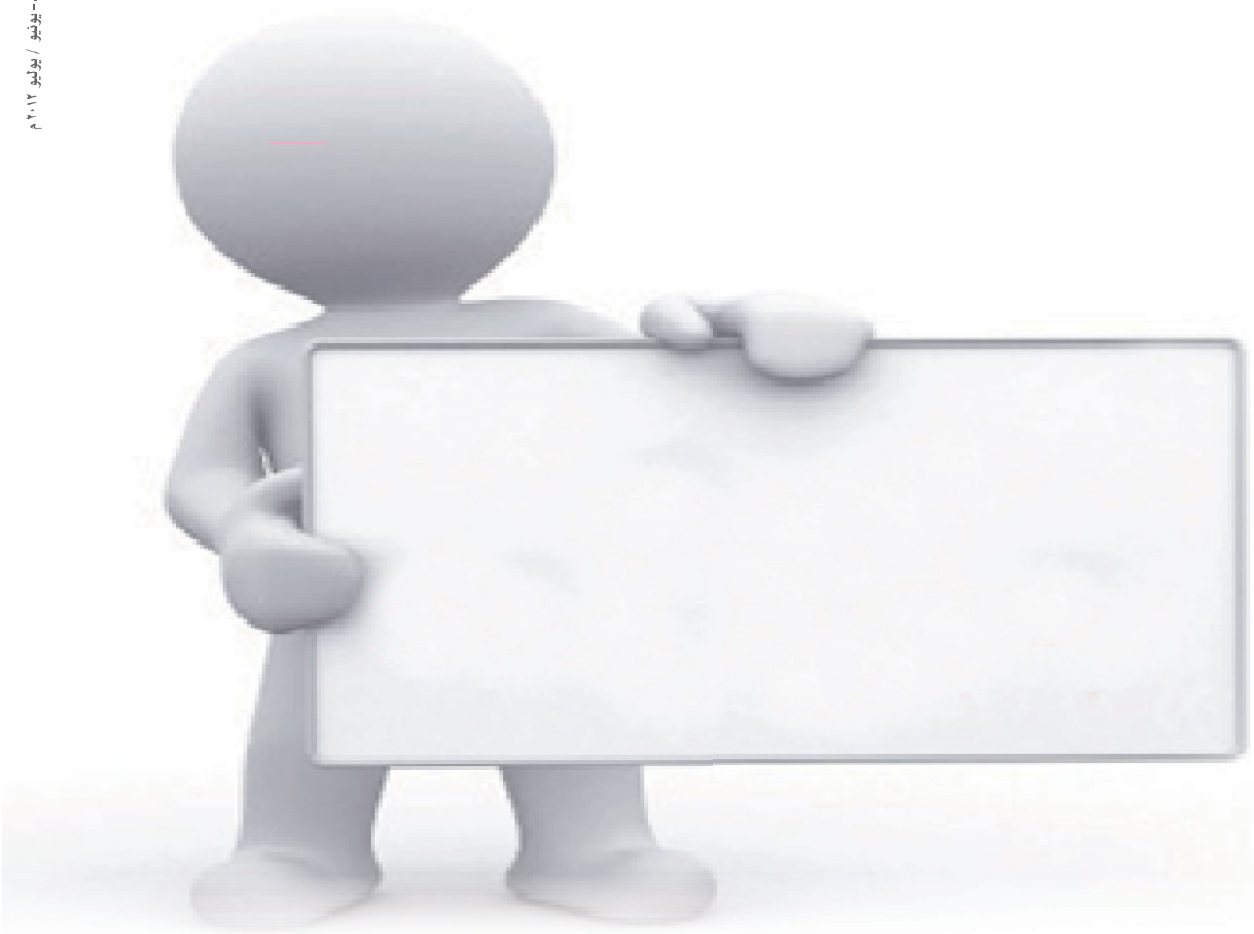

تحدثنا في المقال السابق عن أهداف المحاسبة التي تتركز على مساعدة مستخدميها فيما تنتجه من معلومات في اتخاذ قراراتهم تجاه علاقاتهم بالمؤسسة؛ وذلك عن طريق إصدار تقارير مالية دورية عن مركزها المالي ونتائج أعمالها.

وتطرقنا أيضًا إلى النظرة الإسلامية لعلم المحاسبة، والتي تشمل- بالإضافة إلى تعيين الحقوق- الكشف عن النتائج، والوضع المالي بكيفية خاصة يُراعى فيها التمييز بين الحلال والحرام.

ونركز في هذا المقال على السلوك الأخلاقي للمحاسبة؛ فمن قواعد السلوك الأخلاقي لها:

الإخلاص والتقوى لمهنة المحاسب: إذ يجب أن يقصد المحاسب بعمله طاعة الله عز وجل، ولا يستهدف الرياء والسمعة.

وينتج عن مراعاة الإخلاص: عدم التحيّز والخضوع للمؤثرات والضغوط الخارجية، بل القيام بالعمل امتثالًا للالتزام الديني، والحس الإيجابي؛ خوفًا وطاعة للجليل، وبذلك يستحق المحاسب:

١. الثواب من الله عز وجل.

٢. المقابل المادي الذي يحصل عليه لقاء جهده المخلص.

٣. الثناء التلقائي عليه.

دون أن يجعل ما سبق- من ثناء- هدفًا يصبو إلى الوصول إليه، ولابدّ أن يتقي الله عز وجل، ويجعل مخافته نصب عينيه في السر والعلن، لاسيما وأن المال من فتن الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف ٤٦). وتتحقق التقوى: بامتثال أوامر الله عز وجل، واجتناب نواهيه، ومن مقتضى ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحمي نفسه من الانحراف والانزلاق المالي، متمثلًا بذلك قوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» (رواه أحمد).

وأن يتقي الله عز وجل في مزاولته المهنة: إذ يجب عليه ألا يقتصر في عمله على أداء الوجبات الوظيفية والمهنية فقط، بل يعمل لبلوغ مرتبة الإحسان وإتقان العمل، وذلك بأداء المهام المنوطة به على أحسن وجه ممكن، ولا يتحقق ذلك إلا بالتأهيل العلمي والعملي، والتّفقه الديني للمحاسب، وهو مطلب ديني في مجال عمله، لقوله ﷺ «إن اللّهَ عز وجلٍ يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» (رواه الطبراني).

لا يوجد طفل كسول!

بشرى شاكر- باحثة مغربية

في أحيان كثيرة ينسب الكسل والغباء لطفل ما نتيجة عدم نيله لعلامات جيدة في مادة معينة أو في امتحان ما، أو نتيجة أجوبته الخاطئة المتكررة ويبصم هذا اللقب حياة الطفل إلى الأبد، وخاصة حينما يميل بعض المدرسين نحو إهماله وعدم الاكتراث له ويطلبون منه الجلوس في آخر الصف ولا يوجهون له أية أسئلة، إذ يترسخ لديهم الاعتقاد أنه طفل كسول وغبي، وأن أية محاولات لجعله ينشط داخل القسم لن تجعل منه تلميذًا متفوقًا، فيختارون تركه في أحد المقاعد المدرسية وكأنه مجرد شيء لا دور له في الصف سوى أن يأتي ويخرج في الوقت المخصص له، وهناك آخرون يرون في العقاب وسيلة تربوية لهذا النوع من التلاميذ وهم أيضا يلجأون لإهماله بعد فترة زمنية معينة.

والحقيقة أنه لا يوجد طفل كسول وإنما يوجد طفل ذكي وطفل أقل منه ذكاء أو طفل ذكي وآخر أذكى منه ولكنه لا يعبر عن نفسه نتيجة موانع كثيرة يعاني منها بمفرده ولا يفقهها الآخرون.

قد يكون التلميذ أو الطفل الذي نراه كسولا وغبيًا أذكى من غيره بكثير، وقد يمنعه من المشاركة داخل القسم خجله مثلا من سخرية الآخرين، أو خوفه من نيل العقاب أو تلعثمه في الكلام، وأحيانا كثيرة عدم اندماجه في الصف إما لأن الآخرين يضحكون من شكله أو لباسه أو فقره وغير ذلك، وفي حالة المراهقين، نجد الكثير ممن يقال عنهم أغبياء وخاملون، إنما ينجم كسلهم عن اختيارهم لتوجه دراسي غير صحيح، وهنا يأتي دور الموجهين التربويين في توجيه الطالب التوجيه الصحيح، وقبل ذلك أساتذته بحكم قربهم له أثناء السنة الدراسية، وأيضًا على الآباء ألا يفرضوا آراءهم على أبنائهم فيما يخص توجهاتهم الدراسية.. فالابن ليس مرآة ينظر فيها الأب إلى نفسه والأم لنفسها عبرها، ولا هو أداة يبلغان عبرها أهدافًا لم يصلاها فيسقطانها عليه، وإنما هو كائن مستقل قد تكون له نفس ميول الآباء وقد تتغير ميوله عنهم، وفي كلتا الحالتين علينا أن نساعده في الاختيار دون أن نفرض عليه رأينا.

في بعض البلدان تمنح أهمية كبرى للتلميذ الذي يقال عنه في بلدان أخرى إنه غبي، بل ويعاد توجيه بعض الطلاب نحو شعب مغايرة في حالة دلت دراسة حالتهم على أن ميلهم نحو مواد علمية مثلا أكبر من ميلهم لمواد أدبية، والنتيجة أن هذا الطالب الكسول يتحول إلى إنسان ناجح وذكي، وفي واقع الأمر لقد كان ذكيًا منذ البداية وإنما لم يكن ناجحًا لأن عوامل النجاح لم تكن متوفرة لديه وحينما توفرت ظهر ذكاؤه.

كما أن هناك طفلا ذكيًا جدًا وطفلا ذكيًا نسبيًا حسب المقاييس المتعارف لقياس الذكاء عليها، أي «QI» ولكننا نجد الثاني أنجح بكثير من الأول وعلاماته مرتفعة، وهذا قد يعود لأنه يحسن استثمار إمكاناته المتوسطة بطريقة مثلى، أما الأول فيعتمد على الذكاء العقلي فحسب، وهذا النوع يكون ملتزمًا

بدروسه، وله منظومات يمشي عليها ولذلك فإنه لا يبدع بذكائه، لأنه لا يتوفر على مساحة الخيال التي يتوفر عليها الطفل الذي قيل إنه أقل منه ذكاء.

فكما أن هناك الذكاء الذهني فهناك الذكاء القلبي، وهو حسن تدبير الذكاء الذهني بالوجدان والعاطفة، فالطفل الناجح يعتمد ذكاء ذهنيًا ووجدانيًا وهنا يمكن ذكر قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة الحج: ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

وقد يكون سبب كسل الطفل ليس غباء ولا نقصًا في الذكاء وإنما قد يعود خموله إلى الخجل، وهنا وجب معالجة الأسباب لإفساح المجال أمام الطفل ليعبر عن نفسه وعن ذكائه، فقد يكون نتيجة خوف من العقاب، وهنا أيضًا وصف الطفل بالغباء لن يكون حلا يجعله يعمل، وإنما السعي إلى نيل ثقته سيجعله بالتأكيد من المتفوقين، وهناك أطفال أذكياء جدا ولكن لديهم مشكلة في النطق، هؤلاء على آباءهم ومدرسيهم أن يحثوهم على القراءة فهي ستساعدهم على تحسين النطق وإبراز مهاراتهم للسطح، وطبعا القراءة يجب أن تراعي مستواهم الدراسي وأيضا عمرهم فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

كما أن النشاطات المدرسية الموازية، تمكن المربين من اكتشاف مواهب عديدة لدى من يعتبرون أغبياء وكسولين داخل الفصل الدراسي، وقد يظهر لنا ذكاء أكبر بكثير مما كنا نتوقعه بحيث نرى سرعة الحركات والانتباه إلى أدق التفاصيل، أشياء لم نكن نلاحظها داخل الفصل ولكنها كلها عوامل تساعد على إظهار الطاقات الكامنة داخل الطفل وتساعدنا على أن نجعل منه تلميذًا أو طالبًا متفوقًا فيما بعد.

وقد يمارس بعض الآباء أو المربين أسلوب الاضطهاد والتجريح على الأطفال نتيجة تحصيل علمي متدن، وقد يزيد هذا من سوء تركيزهم وعدم رغبتهم في الدراسة.

وفي الكثير من الأحيان تكون النتائج الهزيلة للطفل نتيجة مشكلة في التركيز الناجم عن مشكلة بصرية أو سمعية، ويعزى ذلك لغباء الطفل، في حين أن هذا الأخير يعاني في صمت من أمر عضوي، وهنا يجب على الآباء خاصة أن يستشيروا طبيبًا مختصًا ليستعلموا عن قدرات أبنائهم البصرية والسمعية، وكذلك قدراتهم الحركية أو إصابتهم بإحدى الحالات المرضية مثل «الديسليكسيا»، فالطفل حينما يكتب حروفًا متباعدة أو مقلوبة في غالب الأمر، لا يعني هذا أنه غبي ولكنه طفل «ديسليكسي» يملك ذكاء قويًا، ويبدو عليه ذلك من خلال حواره، ولكنه لا يستطيع نقل قدراته على الورق، ولديه ارتباك من اليمين لليسار، فغالبا ما يكتب كتابات مقلوبة، كما أنه أثناء القراءة قد يضيع المكان الذي وصل إليه إذا توقف عن القراءة قليلا، ولكن مهاراته اليدوية تكون كبيرة جدًا وأيضا ذكاؤه الخيالي يكون أوسع بكثير، ونسرع إلى نعت الطفل بالغباء والكسل، فيجب أن نلتفت للممهارات التي يحملها ولا نجعله يعتقد أنه طفل لا فائدة ولا أمل يرجى منه، كما أن الضغط عليه ليتعلم لا يجدي في شيء أبدًا، فقد يتحسن تدريجيًا في اكتساب مهارات جديدة وفي تحسين خطه ونطقه ولكن بالشدة الزائدة لن يكون أبدًا كأي طفل عادي، لذلك الأجدر بنا أن نبحث عن نقاط قوته لنجعله ينمي قدراته بدل أن نطلب منه المستحيل، فغالبا «الديسليكسيا» هو أمر وراثي ومستمر، وما هذا سوى أمر من بين الأمور التي قد تمنع الطفل من التفوق دراسيًا، والتي تنسب للأسف للغباء والكسل ولا نبحث عن كنهها الحقيقي.

وقد يكون التحصيل العلمي السلبي للطفل نتيجة جو متوتر داخل الأسرة وهنا لم نلوم الطفل على شيء نقوم به نحن؟ بل الأجدر أن نبحث عن استقرار أسري يمنح للطفل استقرارًا نفسيًا أولا قبل أن نطلب منه النجاح والتفوق.

وقد قال أنس رضي الله عنه في ذلك: «لقد عشت مع الرسول ﷺ ١٠ سنوات لم يقل لي افعل هذا أو لم فعلت هذا»، وهذا لا يدل على أن أنسًا وهو طفل صغير لم يخطئ قط، ولكن بدل أن يصفه الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام بالغباء والاستهتار فقد كان يعلمه بالقدوة ويرحم ضعفه.

فنأمل أن نقتدي بخير الأنام وألا نرى ذات المشهد يتكرر دائمًا من قبل آباء يفضلون ابنًا على الآخر ظنا منهم أنه أكثر ذكاء أو من قبل معلمين يتفاعلون أكثر مع الطلبة النشيطين ويصفونهم بالذكاء، بينما يهملون الأطفال الذي يرون فيهم خمولا وكسلا ويبصمونهم بالغباء. فخمول الطفل لا يعني أبدًا أنه كسول أو غبي بل في الحقيقة لا يوجد طفل كسول على الإطلاق وإنما هناك طفل صاعد استقلالي قوي، وطفل هابط يحتاج إلى مساعدة ليكون ناجحًا أيضًا وربما يكون مستقبلا أذكى من غيره في الفصل.

الموهبة المفقودة!

بلال المريسي- كاتب صحفي

قد يتقدم إنسانٌ ويرتقي في سُلم الحياة لظروف تهيأت له، أو فرص سنحت له فبادر باغتنامها، ولكنْ.. سرعان ما ينزل عن مكانه الذي وصل إليه، ويتدحرج إلى أسفل ذلك السُّلم الذي صعد منه.

ربما لأنه صعد فجأة دون بذل مجهود أو طاقة!

وربما لأنه ما أصر على البقاء في تلك القمة، فرجع من حيث بدأ إلى أول درج السلم!

وربما لأنه اكتفى بما أنجز، فضعُفت عنده الهمة، واضمحلت الإرادة، فتراجع القهقرى، ولو أنه شمر عن ساعد الجد لارتقى من علو إلى علو ومن قمة إلى أخرى!

ومما يجعل الإنسان ثابتًا في مكانه المرموق ومستمرًّا في تقدمه ورقيه.. مواهبه وإبداعاته؛ فكلما زاد الإنسان من صقل مواهبه، وتفجير إبداعاته، ترقى إلى القمم الشماء دون تراجع أو انحطاط.

وخلال هذه الأسطر نسلط

الضوء على موهبة من المواهب التي فقدت أو ربما وجدت بتفاوت بين شخص وآخر، وهذه الموهبة لا تقلّ أهمية عن موهبة العقل والذكاء والفطنة: بل إنها له كالملح للطعام والروح للجسم، وكثيرون هم الذين فشلوا في الحياة لفقدانهم هذه الموهبة من غير أن ينقصهم علمٌ أو ذكاء.

فحينما تنطوي ساعات يومك تكون بلا شك قد خالطت أصناف البشر الغث منهم والسمين، ورأيت من تصرفاتهم ما يزيد من إعجابك وسرورك وبهجتك وما تتمنى أنك لم تشاهده لما يحصل لك من الضيق والكدر، فتارة ترى شخصًا قد أوقف سيارته بجوار برميل القمامة ليضع فيه زجاجة مشروبه وعلبة الماء الفارغة، فيزيد إعجابك لتصرفه وتزيد مكانته عندك، في المقابل تجد شخصا آخر قد أخرج يده من نافذة سيارته راميًا زجاجته الى الشارع فتتأذى من هذا المشهد وتتمنى أنك لم تشاهده.

وشريعتنا الإسلامية لم تغفل عن هذا الجانب ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» (رواه مسلم).

فإذا ما ذهبت إلى صرافة النقود رأيت عجبًا، ترى شخصًا يتخطى من قبله من الناس دون استئذان أو احترام، بل أعجب من ذلك أن تجد غيره إذا ما جاء دوره بالصرف ينشغل بمكالمة عبر جواله؛ فإذا ما فرغ منها بقي ينظر في حسابه وربما أطال الوقوف والآخرون ينتظرونه، وفي المقابل تجد شخصًا يُجل الأكبر منه سنًا فيقدمه على نفسه، ولو كان مستعجلا لظروف طرأت عليه تجده يستأذن من قبله بأدب ووقار: فإن أذن له كان بها وإلا بقي ينتظر دوره حتى يأتيه، أما لو رن جواله وجاء دوره تجده يشير للذي خلفه بالتقدم عليه حتى يكمل مكالمته تلك.

ولعلنا بتلك الأمثلة السريعة قد أوضحنا وبينا تلك الموهبة المفقودة فيا ترى ما هي؟!

إنها «سلوك الروح» إنها رسالة الدين- أي دين كان- السمو بأخلاق الناس: إنها موهبة الذوق.

فالذوق كلمة جميلةٌ موحيةٌ، تحمل في طياتها معاني اللطف، وحُسن المعشر، وكمال التهذيب، ورهافة الحس، وحُسن التصرف، وتجنب ما يمنع الإحراج وجرح المشاعر والإحساس بلفظٍ أو إشارةٍ أو نحو ذلك.

فتجد الناس إذا أرادوا مدح شخص والثناء عليه، ينعتونه بهذه الخصلة الجميلة، والموهبة المفقودة فيقولون: فلان صاحب ذوق رفيع (ذواق)، بينما لو أردوا ذمه قالوا: فلان قليل ذوق أو بلا ذوق أو بليد الذوق وشتان بين هذا وذاك.

وشريعتنا السمحة وديننا الحنيف لم يهمل هذه الموهبة، بل اهتم بها أشد اهتمام، وذلك لينقل الناس الصورة الحسنة المعبرة عن عظمة هذا الدين، ويدعوا إليه بأخلاقهم قبل أقوالهم فيصبحوا الصورة الحية النابضة بتعاليمه وذوقياته.

وإليكم بعض تلك الذوقيات على عجالة فنصوص الوحيين زاخرة بذلك ولا يتسع المقام للحصر والإطالة، فالمسلم مأمور أن يأخذ زينته عند كل مسجد، وأن يأتي إلى الصلاة وعليه السكينة والوقار، كما أنه منهيٌ أن يأكل ثومًا أو بصلا لكي لا يؤذي غيره من المصلين، كذلك منهي عن رفع الصوت في المسجد، وإنشاد الضالة، والبيع والشراء، ولا يتخطى رقاب المصلين يوم الجمعة، ولا يتكلم والخطيب يخطب- أليس كل هذا من الذوق؟

وقس على ذلك في بقية أركان الإسلام وفي العبادات والقربات فستجد من الذوقيات ما يدهشك ويزيد من مقدار حبك لهذا الدين الحنيف، فتصبح نموذجًا من نماذجه وصورة حية نابضة بتعاليمه وذوقياته.

وحرص ديننا الحنيف على موهبة الذوق في فن التعامل مع الآخرين حرصًا حثيثًا، فتجده اهتم بموهبة الذوق تجاه الوالدين ليس منّةً من الولد، ولكن حقًا لازمًا أقرته الشريعة ودعت إليه الفطرة البشرية فمن الذوق تجاههما:

عدم رفع الصوت في حضرتهما، وعدم مناداتهما باسميهما، ولا تقدم أحدًا عليهما، ومن الذوق أيضًا إطاعة أوامرهما، وتنفيذ وصيتهما، وإكرام صديقهما، والدعاء لهما، إلى غير تلك الذوقيات، حتى روي عن الحسن البصري (رحمه الله) أنه كان لا يأكل مع أمه من الصحن الواحد، ليس كبرًا، ولكن خوفًا من أن تقع يده على شيء من الطعام وأمه تريد ذلك الشيء، بل كان يعُد ذلك عقوقًا فأين نحن من ذلك؟

ومما حرص عليه الإسلام الذوق مع الزوجة، فالمرأة رقيقة الطبع، مرهفة الحس، صافية الجوهر، إذ إنك تأسر لُبّها وتكسب ودها بكلمة، وتجرح مشاعرها وتكسر خاطرها بكلمة، فمن الذوق تجاهها إكرامها والتلطف معها، فقد جاءت وصية النبي ﷺ بذلك فقال: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوانٌ عندكم»، ومن الذوق أيضًا مراعاة مشاعرها والبيئة التي تربت فيها، فعندما تزوج النبي ﷺ مارية القبطية التي كانت تعيش على ضفاف النيل في الخضرة وجمال الطبيعة، أسكنها ﷺ منطقة «العوالي» في المدينة وكانت تمتاز بخضرتها وأشجارها.. أليس هذا من الذوق؟

كما أن من الذوق أيضًا التزين والتجمل للمرأة، فقد روي عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه قوله: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين هي لي.

وأما عن الذوق مع الأقارب والأرحام، فصل من قطعك، واعف عمّن ظلمك، واحلم على من أساء إليك، وزر من هجرك، فقد وردت الأحاديث أن صلة الأرحام تجعلك ممن يدخلون الجنة بسلام.

وأما عن الذوق مع بقية الناس، فأنزل كل واحدٍ منزلته، واشكر من أسدى إليك معروفًا، وردّ له ذلك الجميل، واحترم أكبر منك سنًا، واعطف على أصغر منك سنًا، ووقر العلماء وأكرمهم، وشارك الناس بأفراحهم، وواسهم بأحزانهم ومصائبهم، وتفقدهم إذا غابوا، وسل عنهم باستمرار، وأبد اهتمامك بهم، تكسب ودهم، وتنال رضاهم.

وكما حرص الإسلام على موهبة الذوق في السّلم حرص عليه أيضًا في الحرب ففي الحديث: «لا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا كبيرًا» كما جاء النهي عن قتل العسيف (الأجير) وأصحاب الصوامع (الرهبان).. أليس هذا من الذوق؟

ولكي تعيش مرتاح البال، باسم الثغر، صافي الجوهر، سعيد الخاطر، تحظى باحترام الآخرين لك، ومحبتهم إياك، كن صاحب ذوق رفيع، وابدأ بالتفتيش عن عيوبك وسارع في إصلاحها، وترقّ في مكارم الأخلاق، ودع عنك سفاسف الأمور، فستعيش عظيمًا وتموت عظيمًا وتبعث عظيمًا.

اللهم بصرنا بعيوبنا، واهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

هو الذي يحرك الإنسان ويوجهه ويولد فيه طاقات هائلة لم تكن لتظهر بدونه، بل هو ينشئه خلقا جديدا بروح جديدة، وعقل جديد وعزم جديد وفلسفة جديدة» (٢).

والإيمان كذلك لا يعترف بالمراحل والأعمار التي وضعها علماء النفس والتربية واشترطوها لنجاح المجهود التربوي.

إنهم يقررون أن هناك سنًّا معينة هي سن القبول لتكوين العادات، واكتساب الصفات وتهذيب الطباع والأخلاق، تلك هي سن الطفولة، فإذا كبر المرء أو المرأة على صفات خاصة فهيهات أن يحدث فيها تغيير يذكر، فمن شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

ولكن الإيمان هو الشيء الوحيد الذي تخطى قواعد التربويين والنفسيين، فالإيمان هو العنصر الوحيد الذي يغير النفوس تغييرا تاما وينشئها خلقا جديدا، ولا يقف في سبيل ذلك فتوة الشباب ولا كهولة الكهول، ولا هرم الشيوخ (٣).

ولنأخذ على هذا أمثلة حية لأشخاص عاشوا في عهدين: عهد الكفر وعهد الإيمان لنرى الفارق.

وحسبنا مثلا على هذا التحول الخطير رجل وامرأة عرف أمرهما في الجاهلية، وعرف أمرهما في الإسلام، الرجل هو عمر الذي رووا أنه بلغ في جاهليته من انحراف العقل أن عبَد إلهًا من الحلوى ثم جاع يوما فأكله، ومن انحراف العاطفة أن وأد ابنة له صغيرة كانت تمسح الغبار عن لحيته وهو يحفر لها مكانها في التراب.. عمر هذا ينتقل من الجاهلية إلى الإسلام، فيتحرر عقله حتى يقطع شجرة الرضوان خشية أن يطول الزمن بالناس فيقدسوها، ويقف أمام الحجر الأسود فيقول: أيها الحجر إني أقبلك وأنا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

وعمر هذا يبلغ من سمو عاطفته ورقة قلبه وخشيته لله ما ملأ صفحات التاريخ بآيات الرحمة الشاملة للمسلم وغير المسلم، بل للإنسان والحيوان حتى قال: «لو عثرت بغلة بشط الفرات لرأيتني مسؤولا عنها أمام الله، لمَ لمْ أسو لها الطريق؟».. هذا هو الرجل.

أما المرأة فهي الخنساء، المرأة التي فقدت في جاهليتها أخاها لأبيها صخرًا فملأت الآفاق عليه بكاءً وعويلا، وشعرًا حزينًا، ترك الزمان لنا منه ديوانًا كان الأول من نوعه في شعر المراثي والدموع.

وغير ذلك مما قالته في رثاء أخيها صخر، كان هذا في جاهليتها فلما أسلمت كان لها شأن آخر، وكانت امرأة أخرى، فقد شهدت معركة القادسية ومعها بنوها الأربعة فقدمتهم إلى الميدان (أي إلى الموت) راضية مطمئنة، بل دافعة محرضة على القتال والثبات في أول الليل قبيل المعركة، فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب لا تلين وانقضوا كالصاعقة على أعداء الله حتى استشهدوا واحدا بعد واحد جميعهم، فلما بلغها خبرهم لم تلطم خدا ولم تشق جيبا ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين وصبر المؤمنين وقالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

ما الذي غير عمر القديم وصنع عمر الجديد؟

وما الذي غير خنساء النواح والبكاء إلى خنساء التضحية والفداء؟

إنه صانع المعجزات.. إنه الإيمان، إنه المفتاح الفذ لأقفال الحياة الكثيرة (٤).

صفوة القول: إن تفعيل الإيمان في حياة المرأة قضية أساسية تخرج الدين من كونه مسألة شخصية إلى اعتباره منهجا متكاملا يتغلغل في نسيج الممارسات الإنسانية المتعددة.

«ومن أهم الوسائل لترسيخ الإيمان في النفس تنمية الخلق الحسن فيها، وذلك من خلال التمكن من مدلولات الأخلاق وآثارها في النفس والمجتمع، مباشرة الأعمال الصالحة المساعدة على تنمية الأخلاق وتقويمها، مجاهدة النفس وتدريبها على الخلق الحسن، القدوة الحسنة، فهذه كلها وسائل مساعدة لبلوغ الإيمان أغوار النفس والوجدان وإدراك اليقين. ولاستعادة إنسانية المرأة واستجابتها لعوامل الإحياء، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)» (٥).

التحصن بالعلم والمعرفة

وقد وعى الأستاذ علال الفاسي هذه القضية فكان في طليعة من دعا إلى تحرير المرأة من رواسب الجهل ومخلفات الاستعمار، ودعا إلى مساواتها بالرجل في التربية والتعليم والتثقيف في كثير من كتبه ومقالاته ومحاضراته وخطبه، قال رحمه الله: «يجب أن تتمتع المرأة بما يتمتع به الرجل من حقوق، وأن تقوم بما يقوم به الرجل من واجبات، ولكي تستطيع ذلك يجب أن يفسح لها المجال، وتعد للقدرة على أداء ما يطلب منها» (٦).

فالتحصن بالعلم والمعرفة والتكوين الإسلامي هو الذي يضع لها الأرضية الصلبة التي تستقر عليها شخصيتها على مستوى فكرها وسلوكها وتوجهاتها، ومن شأن التكوين الديني أيضا أن يكسبها قدرا من التدين تتحصن به وتتميز به في انخراطها الاجتماعي العام وبدونه تكون كالريشة في مهب الريح.

التشبع بالقيم الإسلامية

هذا الأساس مرتبط بالذي قبله، بل هو ثمرته فلا يستقر في النفس شيء من فقه الإسلام وفهم مضامينه وأحكامه العامة ما لم ينبثق منه قدر ضروري من مكارم الإسلام وفضائله وقيمه.

إن المرأة الغربية، بل الإنسان الغربي عامة قد بلغ في الرقي الحضاري منزلة لا تضاهى ولكننا نراه- مع ذلك- قد يشقى بها وينتكس بسببها، وإنما ذلك لأنها حضارة مادية محضة لا تنسجم مع كل مقومات الحقيقة الآدمية الإنسانية، والغرب بحضارته ورقيه وتمدنه وبلوغه في ذلك الشأو الكبير والمرتقى السامق لا يستطيع أن يخفي أزمته الخانقة التي يعاني منها ويعيشها يوميا (أزمة القيم وأزمة الفراغ الروحي، والخواء القلبي والنفسي).

استرداد إنسانية المرأة

تشير الباحثة والشاعرة المغربية سعاد الناصر (أم سلمى) إلى أنه رغم كثرة الدعوات المستمرة لتحرير المرأة في عصرنا الحديث، ومحاولة إخراجها

عبارات سلبية أمام طفلك

عبد الحق بوزرب - كاتب مغربي

من المحتمل أحيانا أن تردد أمام طفلك عبارات سلبية مائة مرة في النهار.. فلا تتعجب إن هو أصبح كذلك أيضا!

لذلك استعمل تفكيرك ومخيلتك، ولا تخاطبه دائما بصورة سلبية، بل حاول أن تتكلم معه بهدوء، وبصورة أكثر إيجابية.. فمن الأفضل ولمصلحة الطفل التركيز بشكل أساسي وبناء على كيفية تعديل أو تغيير السلوكات غير اللائقة، بدل التركيز على توجيه اللوم والانتقاد لشخص الطفل.

فسواء أكانت الرسالة «أنت كسول جدًا» أم «أنت طفل رائع» فإن هذه العبارات التي نطلقها نحن الكبار سوف تترسب بثبات في أعماق لا وعي الطفل.

وكم نسترجع نحن أثناء الأزمات التي نتعرض لها في حياتنا ما قيل لنا في طفولتنا.. أنت كسول، أنت صغير لا تفهم تماما مثل والدك.

ذهب أحد التربويين إلى مدرسة ابتدائية، ودخل أحد الفصول وسأل التلاميذ سؤالا غريبا: من منكم غبي لا يفهم؟!

العجيب أن بعض التلاميذ رفعوا أيديهم، هنا ارتفع صوت التلاميذ فلان وفلان رفعوا أيديهم، فقام التلميذان المشار إليهما في خجل فسألهما التربوي: هل أنتما فعلا كذلك؟ أجابا: نعم.. لكم الله يا من قلتم هذا.

الأب يقول: أنت غبي لا تفهم الدرس، الأستاذ يقولها أمام التلاميذ، التلاميذ ينادونه بها، حتى أصبحت حقيقة بداخل هؤلاء الأطفال.. ويدفع نفسه لا شعوريا إلى التماشي معها. يحكي أحدهم: كنت أجلس، وقد قامت «منى الصغيرة» بعمل رائع في دروسها فقلت لها: ما شاء الله! منى، أنت طالبة ممتازة.

كانت تنظر إليّ كأنها تسمع كلامًا غريبًا قالت: أعرف أنني لست جيدة في دروسي. عندها صدقوني كم ندمت على أنني أنا أو غيري قلنا لها: إنها ليست جيدة، حتى أصبحت قاعدة ثابتة عندها. وفقك الله.. استدركت الأمر وقلت لها: لا، لا.

منى، أنت جيدة وممتازة أيضًا، أنا أعرف ذلك.

نحن نتفوه بكلام لأبنائنا ونساء، ولكنهم لا ينسونه.. ويؤثر سلبا فيهم، ونحن من نحصد نتيجة أفعالنا في النهاية، ولكم أن تتخيلوا مصير هؤلاء الأطفال، سيكونون مثلا يضرب للفشل.. ما لم ترعهم يد أمينة.

إحصائية

دراسة تقول: إن الفرد- وإلى أن يصل إلى سن المراهقة- يسمع ما لا يقل عن ٦٠٠٠ كلمة سيئة، مقابل بضع كلمات حسنة، لا تعليق.

بدلا من البكاء، تعالوا نستبدل كلماتنا بكلمات فعالة تنمي ثقة الطفل مثل: «الله يرضى عليك، الله يباركك يا بني، «يا رب تكبر واشوفك دكتور».. مثلا إذا طلبت من ابنك أن يحضر لك كوب ماء قل له: أحمد، الله يرضى عنك يا بني ناولني كأس ماء من الثلاجة، وعندما يأتي بها قل له: جزاك الله خيرًا، تشرب في الجنة إن شاء الله، وهكذا.

أحمد زويل- الحائز على نوبل في الكيمياء- أمه كانت تكتب على باب غرفته: غرفة الدكتور أحمد زويل.

السلطان محمد الفاتح- فاتح القسطنطينية- كانت تأخذه أمه إلى الشاطئ، وتشير له بأصبعها إلى أسوار القسطنطينية وتقول له: أنت فاتح هذه المدينة، ولهذا اليوم أربيك.

قد لا يعرف التاريخ اسم هذه المرأة.. ولكنه عرف الكثير عن ابنها.. والذي لم يكن كذلك بعد فضل الله عليه، إلا بتربية واعية وأم عارفة، جزاك الله خيرًا يا أم محمد الفاتح، ورحمكما الله جميعًا.

إن الأمر كله يتلخص في الطريقة التي نقول بها الكلمات، فنحن باستطاعتنا أن نختار هذا القول لأطفالنا: أنا غاضب منك وأريدك أن ترتب ألعابك الآن! دون أن نخشى أية آثار لحديثنا على المدى الطويل.. أما إذا قلنا: أنت أيها المزعج الكسول، لماذا دائما لا تؤدي ما يطلب اليك؟ وكرر هذه الرسالة كلما حدث نزاع أو خلاف، عندئذ لن تكون النتيجة مفاجئة لأحد.. كن إيجابيا وانتبه لما تقوله لابنك.

كلامي ليس للآباء فقط، لكنه للجميع، فالطبيب عندما يأتيه طفل مريض فليحرص على مناداته بالبطل مثلا.

الأستاذ عندما يفشل أحد التلاميذ رجاء.. لا تشتمه، قل له: حاول مرة أخرى وأنا واثق من أنك ستنجح. fuq من الناس شعروا أن والديهم تعمدا تحطيمهم، أو كانا حاقدين، وكل ما في الأمر أن تربية الأطفال وتصحيح أخطائهم في ذلك الوقت كانت تتم بتلك الطريقة، تلك كانت عصور الجهل بفقه التربية بالنسبة لتنشئة الأطفال.

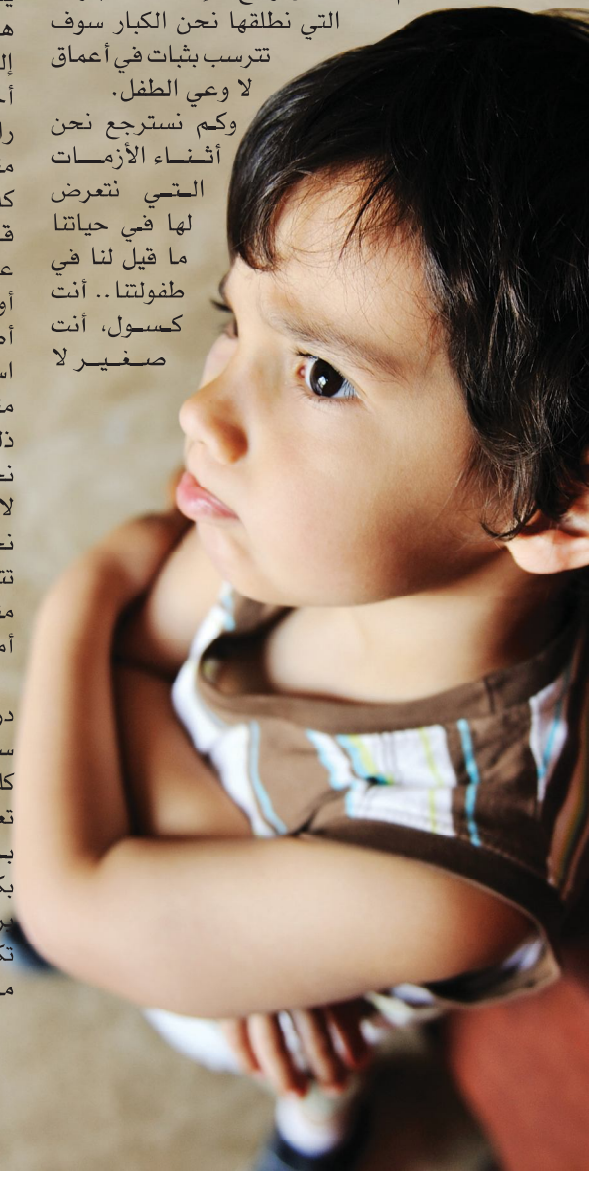

وفي عام ١٩٨٥م شارك في أعمال مؤتمر السنة النبوية الثاني في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأميركية، وفي ديسمبر ١٩٨٦م، اختير رئيسًا لمؤتمر السنة النبوية المنعقد بلوس أنجلوس وألقى محاضرات عديدة في أماكن شتى بالمراكز الإسلامية، ثم سافر إلى النمسا بمناسبة إنشاء مصرف إسلامي في العاصمة «فيينا»، حيث تكلم عن الفكر الاقتصادي الإسلامي، وفي عام ١٩٨٧م اختير عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

أسرة صالحة

تزوج الشيخ الشعراوي وهو في المرحلة الابتدائية بناءً على رغبة والده الذي اختار له زوجته، ووافق الشيخ على اختياره، وكان اختيارًا طيبًا لم يتعبه في حياته، ورزقه الله بخمسة أبناء: سامي، وعبدالرحيم، وأحمد، وفاطمة، وصالحة.

تقي كريم

تميزت حياة الشيخ الشعراوي بالورع والتقوى والخوف من الله تعالى في كل تصرفاته وسلوكاته إلى أبعد الحدود، وكذلك السعي بكل ما منحه الله عز وجل من قوة ونفوذ لعمل الخير ومساعدة المحتاجين، ويُشهد له أنه أنفق جميع ماله على أهل قريته، وأسس لهم دورًا للعلم ورعاية الأيتام والعلاج، وكان بيته مفتوحًا للفقراء.

أضف إلى ذلك علمه القرآني ومداركه التفسيرية المتميزة وأسلوبه الجذاب في إقناع الآخرين، حتى أصبح صاحب مدرسة خاصة في الفكر والتفسير القرآني، لقد كان حجة قرآنية تعلم منها الكثيرون في جميع أنحاء العالم.

كتبه ومؤلفاته

عدا عن الكثير من المحاضرات والدروس الدينية التي جاد بها الشيخ الشعراوي على المسلمين، مشاهدين ومستمعين، فقد قدم عددًا من الكتب كان من أشهرها وأعظمها «تفسير القرآن الكريم»، حيث منّ الله تعالى عليه بتفسير الأجزاء من ١-٢٧ من كتاب الله الكريم وانتهى أجله قبل أن يتم تفسير الأجزاء الثلاثة المتبقية منه.

من أهم مؤلفاته: «هذا هو الإسلام»، «معجزة القرآن»، «أسرار بسم الله الرحمن الرحيم»، «لبيك اللهم لبيك»، «المرأة كما أرادها الله»، «الشورى والتشريع في الإسلام»، «القضاء والقدر»، «أمثال القرآن الكريم»، «أوصاف أهل الجنة»، «مشاهد يوم القيامة»، «الشيطان والإنسان»، «الأدلة المادية على وجود الله»، «الإسلام والفكر المعاصر». وهذه الكتب هي تفسير موضوعي لآيات من القرآن الكريم جمعت بعناية فائقة، ورتبت ترتيبًا جيدًا، وروجعت مراجعة علمية دقيقة.

جوائز وتقديرات

تقديرًا لنشاطاته الدعوية وجهوده في تفسير القرآن الكريم، مُنح الشيخ الشعراوي العديد من الجوائز والتقديرات، كان من أهمها: وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، الذي منحه إياه الرئيس المصري الراحل السادات عام ١٩٧٦م بمناسبة بلوغه سن التقاعد، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٧٨م، ووسام الشيخ زايد من الدرجة الأولى، والدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية، كما منحه الرئيس مبارك وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨م خلال الاحتفال بيوم الدعاة، وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨م، واختارته محافظة الدقهلية شخصية مهرجانها الثقافي لعام ١٩٨٩م، واختير رحمه الله عام ١٩٩٧م شخصية العام الإسلامية في الدورة الأولى من جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

شاعر يعشق اللغة

عشق الشيخ الشعراوي اللغة العربية، فعُرف ببلاغة كلماته، وبساطة أسلوبه، وجمال تعبيره، وكان له باع طويل مع الشعر، فكان يجيد التعبير به في المواقف المختلفة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بآمال الأمة، حيث كان يشارك في العمل الوطني بالكلمات القوية المعبرة، وكان رحمه الله يستخدم الشعر أيضًا في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح معاني الآيات.

وعن منهجه في الشعر قال: «حرصت على أن أتجه في قصائدي إلى المعنى المباشر من أقصر طريق، بغير أن أحوم حوله طويلا، لأن هذا يكون الأقرب في الوصول إلى أعماق القلوب، خاصة إذا ما عبّرت الكلمات بسيطة وواضحة في غير نقص، وربما هذا مع مخاطبتي للعقل هو ما يغلب على أحاديثي الآن للناس».

كيف عرفه الناس؟

في عام ١٩٧٣م وبعد عودته من السعودية، ظهر الشيخ الشعراوي في التلفزيون المصري، حيث تم تقديمه من خلال عدة برامج كان من أهمها «نور على نور»، وهو أول برنامج تلفزيوني يظهر فيه الشيخ بعد العودة إلى مصر. بعد ذلك تم تقديم الشعراوي من خلال اللقاءات الأسبوعية المنتظمة والتي كان من خلالها يلقي بخواطره حول القرآن الكريم، ونستطيع أن نقول إنه المفسر القرآني الوحيد الذي قام بعملية التفسير من خلال إطار شفهي مرئي عبر شاشات التلفزيون في ذلك الوقت.

وبعد أن انتشرت حلقات الشعراوي وانتظمت أسبوعيًّا على مدار السنين، صدرت هذه الخواطر مطبوعة في أجزاء باسم «تفسير الشعراوي»، وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ولاقى إقبالا جماهيريًّا كبيرًا، وهذا بالطبع شيء متوقع نتيجة انجذاب الجماهير وحرصهم على مشاهدة وتسجيل حلقاته الأسبوعية.

إلا أنه تكررت كثيرا على ألسن قراء «تفسير الشعراوي» حقيقة أن هناك فرقًا كبيرًا بين عملية مشاهدة وسماع الشعراوي وهو يفسر القرآن، وعملية قراءة تفسيره المكتوب والمطبوع، وظهر شبه اتفاق على أن الشيخ «يُسمع ولا يُقرَأ»، وترمي هذه العبارة إلى فقدان إمام الدعاة للجاذبية من خلال النص أو التفسير المكتوب. وتتجلى من هذه الملاحظة الفجوة بين النص المرئي والنص المكتوب. ويرجع ذلك إلى أن من قام بإعداد التفسير وكتابته هو شخص آخر غير الشيخ الشعراوي، حيث قام هذا الشخص بتفريغ التسجيل التلفزيوني على الورق ثم راجعه الشيخ قبل الطباعة.

ومن مآثر الشعراوي الأخرى دوره الكبير في إنشاء البنوك الإسلامية بمصر مثل المصرف الدولي الإسلامي للاستثمار، وبنك فيصل الإسلامي، حيث وقف الدكتور حامد السايح، وزير الاقتصاد والمالية المصري آنذاك، في مجلس الشعب وأشاد بتجربة التعامل بأحكام الشريعة الإسلامية في الاقتصاد المصري، وفوّض الشيخ الشعراوي لوضع خطوات إنشاء مؤسسات مالية تعمل وفق أحكام الإسلام.

وفاة إمام الدعاة

في فجر يوم الأربعاء ١٧ يونيو ١٩٩٨م توفي الشيخ الشعراوي في منزله بالهرم، بعد رحلة مع المرض، ودفن بمسقط رأسه في دقادوس، وكان يومًا مشهودًا اتسعت فيه القرية لاحتضان مئات الألوف من الناس الذين حضروا من شتى أنحاء مصر وبعض الدول الأخرى لتوديع شيخهم الى مثواه الأخير.

مركز البحوث الإسلامية (ISAM)

تركي النصر
الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

إسطنبول أو إستانبول هي من أبرز المدن في الجمهورية التركية، كانت في السابق تعرف باسم «القسطنطينية» عاصمة للإمبراطورية البيزنطية. غُيّر اسمها بعد فتحها من قِبَل السلطان محمد الفاتح، لإسطنبول وصارت عاصمة للخلافة الإسلامية العثمانية.

تقع إسطنبول على مضيق البوسفور، وهي من المدن الضخمة القلائل في العالم التي تقع على قارتين (أوروبا وآسيا)، وتشكل مع المناطق التي تحيط بها عصب الحياة الاقتصادية التركية وبوابة أوروبا على الشرق.

إسطنبول الرابضة على سبعة تلال تعد إحدى أهم وأجمل مدن العالم وأشهرها، فهي كانت ولاتزال جسرًا حقيقيًا لانتقال الثقافات بين الشرق والغرب، مدينة يعشقها زوارها ناهيك عن ساكنيها، ولاتزال تحتفظ بعراقتها حتى يومنا هذا.

وتتمتع مدينة إسطنبول بإرث ثقافي زاخر يمتد لما هو أبعد من المعالم السياحية والمواقع الأثرية الشهيرة مثل «آيا صوفيا»، وجامع السلطان أحمد الذي يعرف أيضًا بالجامع الأزرق وقصر الباب العالي «التوب كابي» الشهير الذي كان مركزًا للحكم في الدولة العثمانية، كما تحتوي المدينة على العديد من المنارات والمراكز الإسلامية ومن أشهرها مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي.

يقدم وقف الديانة التركي منذ تاريخ تأسيسه خدمات مختلفة في مجال الأعمال الخيرية، كما يقوم بفاعليات مكثفة لتحقيق أنشطة علمية، ومركز البحوث الإسلامية الذي يُعرف اختصارًا باسم: (ISAM)، الذي أسس من

يقدم الموروث التاريخي الإسلامي للإنسان المعاصر بمناهج علمية حديثة

قبل وقف الديانة التركي في هذا الإطار، يقوم ببحث التراث العلمي التاريخي للعالم الإسلامي مستخدمًا المنهجية العلمية.

إن هذه الأعمال التي كانت وسيلة لكسب «مركز البحوث الإسلامية» مكانته المرموقة كمؤسسة تحظى بالاحترام على المستوى العالمي، تشكل بلاشك مصدرًا علميًا غنيًا لرجال العلم والباحثين.

تأسيسه

لقد أسس مركز البحوث الإسلامية (ISAM)، في عام ١٩٨٨م للمساهمة في تنشئة الباحثين في مجال العلوم الإسلامية، وتهيئة إمكانات المكتبة والتوثيق، وتنظيم الاجتماعات العلمية، ودعم مشاريع البحث، والقيام بنشر الأعمال العلمية وعلى رأسها الموسوعة الإسلامية، التي بدأ الإعداد لنشرها قبل تأسيس المركز، وإصدار المجلات العلمية.

قرر وقف الديانة التركي، الذي تأسس عام ١٩٧٥م، إصدار موسوعة إسلامية معتمدة على التأليف لدعم الخدمات التي توفرها رئاسة الشؤون الدينية التركية، وذلك في إطار أنشطته العلمية المتواصلة داخل تركيا وخارجها، ولهذا الغرض أسست الإدارة العامة للموسوعة الإسلامية التابعة لوقف الديانة التركي في إسطنبول عام ١٩٨٣م، وبعد فترة إعداد دامت خمس سنوات بدأ صدور الموسوعة في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٨م، في تلك الأثناء، وبهدف الاستفادة على وجه منهجي منظم من جهود الباحثين الذين أسهم الوقف في إعدادهم العلمي بتقديم منح لهم للدراسات العليا والدكتوراه، قرر الوقف تأسيس مركز للبحوث الإسلامية عرف اختصارًا بـ (ISAM) والذي باشر أعماله في مبنى الإدارة العامة للموسوعة الإسلامية عام ١٩٨٨م، وفي عام ١٩٩٣م دمجت هاتان الهيئتان تحت مؤسسة واحدة سميت: «مركز البحوث الإسلامية» لوقف الديانة التركي، وأسندت مهمة إعداد الموسوعة إلى هذا المركز.

الغاية من تأسيسه

إن الغاية من تأسيس

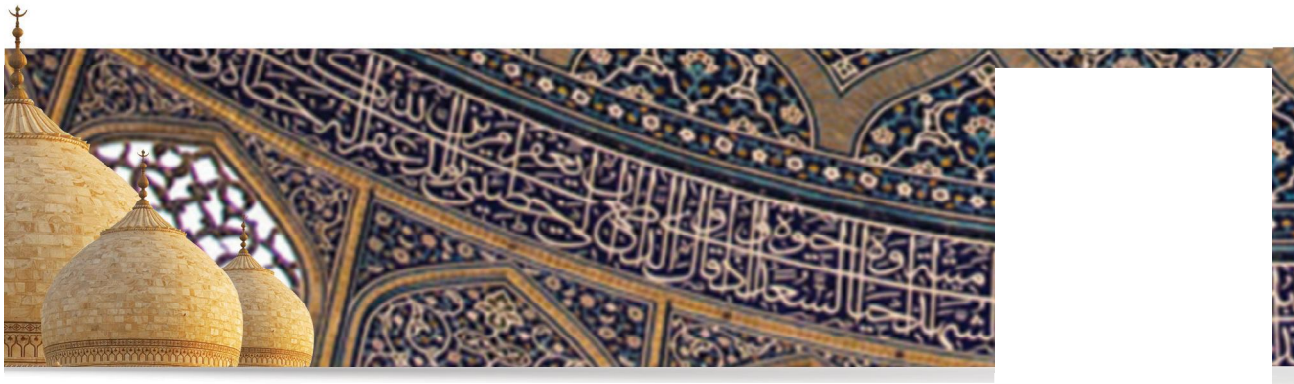

فلذات أكبادنا والأمراض الجلدية!

د.عبدالرحمن النمر-طبيب مصري

الأطفال أكثر عرضة من الكبار للإصابة بأمراض الجلد، خاصة أمراض الجلد المُعدية، وسبب ذلك أن أكثر لعب الأطفال مع بعضهم البعض يدخل فيه الاحتكاك والتلامس بصورة عفوية، مما يسهل انتقال العدوى من طفل إلى آخر.
كما أن الطفل أقل قدرة من الإنسان البالغ على العناية بنفسه والاهتمام بنظافته الشخصية، مما يجعله عرضة للإصابات المرضية عموما وإصابات الجلد خصوصا.
ونظرا لشيوع الإصابات الجلدية عند الأطفال، وبسبب أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به الوالدان لوقاية الطفل من المرض، خصوصا فيما يتعلق بالنظافة، نفرد السطور التالية لبيان أكثر أمراض الجلد شيوعا عند الأطفال.. وكيفية الوقاية منها.

الحَصَف

من أكثر أمراض الجلد شيوعًا بين الأطفال المرض المسمى «الحَصَف» (بفتح الحاء والصاد) Impetigo، وينتشر هذا المرض بصفة خاصة في الأسر الكبيرة العدد التي ينخفض فيها مستوى الاهتمام بالنظافة الشخصية، كما ينتشر المرض في المجتمعات الفقيرة التي لا يتوفر فيها ما يعين على النظافة، وكذا في الأماكن التي تكثر فيها الحشرات، خصوصا الذباب، الذي ينقل العدوى من طفل إلى آخر.
ينشأ الحصف نتيجة إصابة الجلد بنوع من البكتيريا المسببة للمرض تسمى «البكتيريا المكوّرة»، وعادة توجد البكتيريا المكورة في الطبيعة في تجمعات قد تكون عنقودية الشكل (مثل عنقود العنب) فتسمى «المكّورات العنقودية» Staphylococci، وقد تكون متراصة بجوار بعضها على هيئة حبات المسبحة فتسمى «المُكوّرات السَبَحيّة» «Streptococci».
تؤدي إصابة الجلد بهذه البكتيريا إلى تكوّن بثور (دمامل صغيرة) تتهرأ (تنفجر) بسهولة، فيسيل منها صديد (قيح) يحتوي على خلايا دم بيضاء ميتة وعلى بكتيريا، ويؤدي سَيَلان القيح على الجلد إلى إصابة مناطق جديدة منه تنشأ فيها بثور جديدة، وتتكرر هذه العملية بسرعة بحيث يمكن في أيام قليلة أن تصير منطقة بأكملها من مناطق الجلد مغطاة بالبثور.
تكثر البثور على المناطق المكشوفة من الجسم التي يمكن أن يحط عليها الذباب، أو التي يمكن أن تكتسب عدوى من ملامسة طفل مصاب.. هذه المناطق هي الوجه واليدان بصفة خاصة، إلا أن أي مكان في جلد الجسم يمكن أن يصاب بالحصف.
عندما تتهرأ البثور، تتكون عليها قشرة صفراء أو ذهبية اللون تكون ملتصقة بوسط أو مركز البثرة، وتكون مرتفعة عن الجلد عند الأطراف. وبسبب طبيعة المرض فهناك ميل لانتشار البثور واحدة بجوار الأخرى، بحيث تبدو المنطقة المصابة من الجلد وكأنها مغطاة ببثرة

واحدة كبيرة، عليها القشرة الصفراء المميزة.
يميل الأطفال المصابون بالحصف إلى نزع قشور البثور، ويؤدي العبث بالأصابع في البثور إلى نقل العدوى إلى مناطق جديدة من الجلد، كما أن نزع القشرة يؤدي إلى حدوث نزيف دموي بسيط من البثرة، وعندما تتكون جلطة دموية يتغير لون القشرة إلى لون مائل إلى البني، ويؤدي تكرار نزع القشور إلى حدوث عدوى من جديد في البثور ذاتها، وإلى تكوين ندبة في الجلد عند التئام تلك البثور بعد أسابيع عدة.

لدغ الحشرات

لا تكثر الحشرات إلا حيث ينخفض مستوى نظافة البيئة، وتبعا لذلك فإن أمراض الجلد الناشئة عن لدغ الحشرات لا تُرى إلا في أماكن ومجتمعات لا تولي نظافة البيئة اهتماما يُذكر.
في مقدمة الحشرات التي تلدغ الإنسان لدغا مؤذيا البراغيث والبعوض، وفضلا عن أن هاتين الحشرتين تنقلان أمراضا خطيرة إلى الإنسان، إذ تنقل البراغيث حمى التيفوس بينما ينقل البعوض الملاريا بأنواعها المختلفة، فإن لدغ هاتين الحشرتين يؤدي إلى تهيج الجلد في موضع اللدغ، وحدوث نوع من تفاعلات الحساسية في ذلك الموضع.
وليست الرغبة الشديدة في حَكّ (أو دَعْك أو فَرْك) موضع اللدغ إلا وجها واحدا من وجوه تفاعل الحساسية، وقد يؤدي حك الجلد بشدة إلى تقرُّحه، وبالتالي تسهيل إصابته بالميكروبات المتعددة، وقد يكون تفاعل الحساسية شديدا بحيث يؤدي إلى التهاب الجلد ونشأة بثور حول موضع اللدغ.
الجَرَب كذلك من أمراض الجلد الناشئة عن الحشرات، بيد أن الفارق في هذه الحالة هو أن حشرة الجرب تسكن تحت جلد المصاب، خصوصا في الثنيات بين الأصابع، وتؤدي حركتها تحت الجلد أثناء الليل (عندما تسكن حركة المريض ويصير جسمه دافئا تحت الغطاء) إلى تهيج الجلد، وإثارة رغبة شديدة عند المريض في حكّ الأماكن التي تتحرك فيها الحشرة، وتكثر الإصابة بالجَرَب في غياب النظافة الشخصية بوجه خاص، ونظافة البيئة بوجه عام.
ومما يجب الالتفات إليه أن الحيوانات الأليفة التي يتخذها بعض الناس في بيوتهم، مثل القطط والكلاب، قد تكون مصدرا لحشرات مؤذية مثل البراغيث والعُثّة، ولأن الأطفال يولعون باللعب مع الحيوانات الأليفة في بيوتهم، فلا عجب أن تكون الحيوانات من أسباب ابتلاء الأطفال بأمراض الجلد.

التهاب الجلد الزَّهَمي

هذا واحد من أمراض الجلد الشائعة في العام الأول من العمر وفي فترة المراهقة، ومن غير المعروف سبب هذا المرض، وإن كان يعتقد أن أحد فطريات الخميرة قد يكون مسؤولا عن ذلك.
«التهاب الجلد الزّهمي» (بفتح الزاي المشددة والهاء) Seborrhoeic dermatitis، يصيب فروة الرأس وثنيات المفاصل، حيث يؤدي إلى ظهور بقع جلدية حمراء اللون مغطاة بقشور، وهذه القشور ليست إلا إفرازات دهنية جافة، (كلمة زَهَم معناها دهن)، ولا يحتاج علاج هذه الحالة إلى أكثر من تنظيف الجلد بمادة مطهرة، ثم دهنه بمرهم مضاد للالتهاب.

طفح الحفاض

من أمراض الجلد الشائعة عند المواليد والأطفال صغار السن، التهاب الجلد حول مناطق الإخراج، وهو ما يسمى «طفح الحفاض» Nappy Rash، (الحفاض بكسر الحاء هو اللفافة التي تغطي عورة الصغير ومقعدته).
سبب حدوث طفح الحفاض هو تهيج نسيج الجلد بالمواد الكيميائية المختلفة في إخراج الوليد (البول والغائط)، إذ تهمل بعض الأمهات نزع ملابس الصغير وتغييرها فور قضاء حاجته. كما تقتصد أمهات أخريات في استعمال الحفاض الجاهز الذي يجب التخلص منه بمجرد أن يقضي الطفل حاجته، فيترك الحفاض بما فيه من إخراج وقتا طويلا على جسم الطفل، وهذا اقتصاد في غير موضعه، إذ قد تبلغ نفقة علاج طفح الحفاض عشرات أضعاف ثمن الحفاض الجاهز الذي يُراد الاقتصاد في استعماله!

الثآليل

الثآليل (جمع ثُؤْلول) Warts، وهي أورام جلدية صغيرة تظهر على أصابع اليدين والقدمين غالبا، وقد تظهر على أماكن أخرى من جلد الجسم، وتعرف هذه الأورام عند عامة الناس باسم «السِّنَط»، وتنتج عن إصابة الجلد بفيروس من عائلة الفيروسات المسببة للأورام الصغيرة (Papilloma Virus).
عادة تختفي الثآليل تلقائيا بعد شهور عدة من ظهورها، إلا أن منظرها غير السار على الوجه أو على أصابع اليدين قد يدفع المريض إلى طلب العلاج في وقت مبكر، كما أن بعض الثآليل التي تنشأ على باطن القدم تكون مؤلمة أثناء المشي، الأمر الذي يتطلب علاجا مبكرا.

أورام الجلد المعدية

هذه أورام صغيرة شبيهة بحلمة الثدي تنشأ عن إصابة الجلد بفيروس، وكما توضح التسمية، فإنها أورام مُعْدية.
أورام الجلد المُعْدية Molluscum Contagiosum تصيب الأطفال- وكذا البالغين- الذين تنخفض مقاومة أجسامهم للعدوى بسبب سوء التغذية، أو الإصابة بمرض مزمن مثل الدرن (السل الرئوي)، أو مرض عضال مثل السرطان، أو نتيجة تعاطي العقاقير الكابحة لجهاز المناعة، وتكون الأورام ناتئة (بارزة) وردية اللون، في مركزها (وسطها) انغماد يجعلها شبيهة بالسرة، ولكن في حجم أصغر، وتكون هذه الأورام رخوة وعادة ما تذوي بالضغط عليها.
إن أمراض الجلد التي ذكرنا آنفا لا تجمع كل أمراض الجلد التي تصيب الأطفال، ولكنها الأكثر شيوعًا وانتشارًا من بين سائر ما يصيب جلد الأطفال من أمراض.. والقاسم المشترك بين أمراض الجلد الشائعة عند الأطفال أنه يمكن الوقاية منها جميعا، وتتلخص التدابير الوقائية في كلمة واحدة.. هي النظافة.
بطبيعة الحال لا يستطيع طفل صغير أن يقوم على نظافة نفسه، لهذا فمن واجب الوالدين أن يقوما بهذا الدور.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

بيع جهاز كمبيوتر مبرمج عليه بعض ما يناقض العقيدة الإسلامية

(١٤/ ١٥٥/ ٤٣٨٩)

عرض على «لجنة الفتوى» بقطاع الإفتاء في الكويت الاستفتاء التّالي:

جهاز كمبيوتر متخصص بالترجمة فعند إدخال كلمة «Father» التي هي بمعنى أب يترجمها إلى «الله»، ولعل هناك بعض الكلمات الأخرى التي تتنافى مع عقيدتنا الإسلامية، والسؤال هو:

ما حكم بيع وشراء هذا الجهاز؟ وإذا استطاع صاحب الشركة إلغاء هذه الكلمات وتبديل معناها هل يجب عليه ذلك؟ وإذا كان الجواب بالجواز مع عدم استطاعته تبديل هذه الكلمات، هل يجب عليه توضيح الخطأ العقائدي أو غيره للمشتري؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

أ- لا يجوز بيع وشراء هذا الجهاز مادام فيه هذا العيب المؤثر في عقيدة المسلمين، وذلك دفعًا للّبس الذي قد يحصل من ورائه للمستعمل.

ب - إذا استطاع البائع تعديل هذا الخطأ وأجرى عليه التعديل والتصحيح المطلوب؛ فإن بيعه وتداوله يصبح جائزًا شرعًا.

جـ - إذا عجز البائع عن تصحيح هذا الخطأ؛ فلا يجوز بيعه مطلقًا، والله أعلم.

حكم إجراء عمليات التّعاقد الإلكتروني

(١٧/ ١٤٦/ ٥٣١٠)

عرض على «لجنة الفتوى» بقطاع الإفتاء في الكويت الاستفتاء التالي:

من الواضح أن هناك حاجة ملحة لخلق إطار متين من الثقة، من شأنه أن يوفر الاطمئنان لكل من يتعامل من خلال وسائل الاتصالات الإلكترونية الحديثة، وعلى رأسها الإنترنت، ليبيع ويشتري، وليطلب الخدمات لنفسه أو ليوفرها لغيره.

لذا: نريد التكييف الشرعي لهذه المعاملات، وبالأخص التعاقد الإلكتروني، فهي إما أن تتم للتزود بالمعلومات من خلال عقد، أو أن تتم لنقل ملكية الأموال والمنافع، أو لتوفير الخدمات.

فأجابت اللجنة بما يلي:

التعاقد عن طريق (الإنترنت، أو الفاكس، أو التلكس) أو غير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة، هو نوع من التعاقد بالكتابة إن كان بشيء مسجل مكتوب، أو من التعاقد بالمشافهة إن كان بصوت مسموع، وهو صحيح بالكتابة إذا استوفى شروطه الشرعية وتم فيه التحقق من شخصية المرسل والمرسل إليه، وكانت الوسيلة توحي بالجديّة (على الوجه المتعارف عليه)، وهو صحيح بالمشافهة بالصوت أيضًا، إذا تم التحقق من شخصية كل من المتعاقدين، وكان بصوت مسموع، ولغة مفهومة من كل منهما، واتحاد المجلس في هذه الحال الاعتبار فيه بمجلس القبول، كما في التعاقد بالمراسلة.

والله أعلم.

توحيد الأذان بجهاز تحكّم آلي

(٣/ ٤٧/ ٧٠٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بقطاع الإفتاء في الكويت الاستفتاء التالي:

نتيجة للتطورات الحديثة للأجهزة الإلكترونية خاصة في مجال الحاسب الآلي، وتعدد التطبيقات العلمية لها فقد أصبح بالإمكان تسجيل الأصوات إلكترونيًا في ذاكرة الحاسب الآلي عن طريق دوائر إدخال خاصة، ومن ثمّ بتصميم نظام متكامل يقوم بتسجيل الأذان إلكترونيًا وتخزينه في ملفات إلكترونية خاصة بالنظام، ثم اختيار الأذان المطلوب وبثه إذاعيًا حسب أوقات الصلاة، نرجو إفادتنا عن رأي اللجنة الموقرة في ذلك.

وبعد التداول أقرت اللجنة الإجابة كما يلي:

إن فكرة تسجيل أنواع وأصوات من الأذان إلكترونيًا، وتخزينها في ملفات إلكترونية خاصة، ثم اختيار الأذان المطلوب، وبثه إذاعيًا حسب أوقات الصلاة بواسطة أجهزة ترتبط مع شبكة المكبرات والموزعات الصوتية الموجودة داخل المساجد، لابد أن تستهوي كل قارئ وسامع، لاشتمالها على توحيد الأذان في البلد، وتخيّر الأصوات الندية للتأذين، وتحديد أوقات الأذان بواسطة جهاز الحاسب الإلكتروني الذي يقوم بضبطها بدقة.

لكن هناك سلبيات ومحاذير تقابل هذه المحسنات، وتقلل من شأنها، منها:

أولًا: إن المطلوب في الشّرع هو إنشاء الأذان والقيام بعملية التأذين فعلًا، وهذا البث الإلكتروني إنّما هو صدى للمتأذين، وليس هو الأذان الفعلي المطلوب في الشرع.

ثانيًا: إن الأذان سنة للصلاة وشعيرة من شعائر الدين تتقدم الصلاة فعلًا، ويؤذن للصلاة نفسها بعض المصلين أنفسهم، ولهذا يأثم أهل المنطقة بذلك، ويرتكبون الكراهة بسبب ترك سنة الهدى التي أشار إليها الإمام أبوحنيفة بقوله: «لو اجتمع أهل بلدة على تركه قاتلتهم، ولو تركه واحد ضربته وحبسته».

ثالثًا: إن هذا الأسلوب المقترح للأذان-

لو سلمنا بشرعيته- يحصر فضله في مؤذن واحد، بل قد يفقد المؤذن مطلقًا إذا كان تشغيل الجهاز أتوماتيكيًا كاملًا، ويَحرم كثيرًا من المؤذنين من فضل الأذان العظيم، وقد صرحت به أحاديث وآثار كثيرة نذكر منها حديث: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» (رواه البخاري).

ومن أجل ذلك كله ترى اللجنة عدم شرعية استخدام هذا النظام المقترح للتأذين الموحد واستمرار العمل على ما توارثته الأمة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

نسخ الأشرطة والأسطوانات محفوظة الحقوق

(١٣/ ١٨٧- ١٨٨)

- عرض على «اللجنة الدّائمة» في المملكة العربية السعودية السؤال التالي:

هل يجوز أن أسجل شريطًا من الأشرطة وأبيعه، دون طلب الإذن من صاحبه بذلك، أو إن لم يكن صاحبه على قيد الحياة من الدار الخاصة به؟ وهل يجوز أن أصور كتابًا من الكتب وأجمع منه عددًا كبيرًا وأبيعه؟ وهل يجوز كذلك أن أصور كتابًا من الكتب ولكن لا أبيعه، وإنّما أحتفظ به لنفسي، وهذه الكتب التي تحمل علامة (حقوق الطبع محفوظة) هل أطلب الإذن أم لا؟

فأجابت اللجنة: لا مانع من تسجيل الأشرطة النافعة وبيعها، وتصوير الكتب وبيعها، لما في ذلك من الإعانة على نشر العلم إلا إذا كان أصحابها يمنعون من ذلك، فلابد من إذنهم.

- وسئلت «اللجنة» أيضًا: أعمل في مجال الحاسب الآلي، ومنذ أن بدأت العمل في هذا المجال أقوم بنسخ البرامج للعمل عليها، ويتم ذلك دون أن أشتري النسخ الأصلية لهذه البرامج، علما بأنه توجد على هذه البرامج عبارات تحذيرية من النسخ، مؤداها أن حقوق النسخ محفوظة، تشبه عبارة «حقوق الطبع محفوظة» الموجودة على بعض الكتب، وقد يكون صاحب البرنامج مسلمًا أو كافرًا. وسؤالي هو: هل يجوز النسخ بهذه الطريقة أم لا؟

فأجابت «اللجنة»: لا يجوز نسخ البرامج التي يمنع أصحابها نسخها إلا بإذنهم، لقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ»، ولقوله ﷺ: «من سبق إلى مباح فهو أحق به»، سواء كان صاحب هذه البرامج مسلمًا أو كافرًا غيرَ حربيّ، لأنّ حقّ الكافر غير الحربي محترم كحق المسلم.

حكم الاستثمار والتجارة في مقاهي الإنترنت

(٢/ ٢٨٤)

- عرض على «اللجنة الدّائمة» في المملكة العربية السعودية السؤال التالي:

مما يدور عنه الحديث الآن مقاهي الإنترنت التي انتشرت في الآونة الأخيرة، وبأعداد كبيرة.. ما حكم الاستثمار والتجارة في هذه المقاهي مع وجود بعض المضار والمحرمات؟

فأجابت اللجنة:

إذا كان هذه الأجهزة يتم لمستخدمها التوصل إلى أمور منكرة باطلة، تضر بالعقيدة الإسلامية أو يتم من خلالها الاطلاع على الصور الفاتنة والأفلام الماجنة، والأخبار الساقطة، أو حصول المحادثات المريبة، أو الألعاب المحرمة، ولا يمكن لصاحب المحل أن يمنع هذه المنكرات، ولا أن يضبط تلك الأجهزة، فإنه- والحال ما ذكر- يحرم الاتّجار بها، لأنّ ذلك من الإعانة على الإثم والمحرمات، والله جل وعلا قال في كتابه العزيز: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثم وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢). وبالله التوفيق.

قرار «مجمع الفقه الإسلامي» التابع لـ«منظمة المؤتمر الإسلامي»

مجلة المجمع (ع ٥، ج ٣، ص ٢٢٦٧).

بشأن الحقوق المعنوية

إنّ مجلس «مجمع الفقه الإسلامي» المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من (١- ٦) جمادى الأولى ١٤٠٩هـ، الموافق (١٠- ١٥) كانون الأول (ديسمبر): ١٩٨٨م، بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع الحقوق المعنوية، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرّر ما يلي:

أولًا: الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية، والتأليف والاختراع أو الابتكار، هي حقوق خاصة لأصحابها، أصبح لها في العُرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتموّل الناس لها، وهذه الحقوق يعتد بها شرعًا، فلا يجوز الاعتداء عليها.

ثانيًا: يجوز التصرف في الاسم التجاري، أو العنوان التجاري، أو العلامة التجارية، ونقل أي منها بعِوَض مالي، إذا انتفى الغرر والتدليس والغش، باعتبار أن ذلك أصبح حقًا ماليًا.

ثالثًا: حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا، ولأصحابها حقّ التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها. والله أعلم.

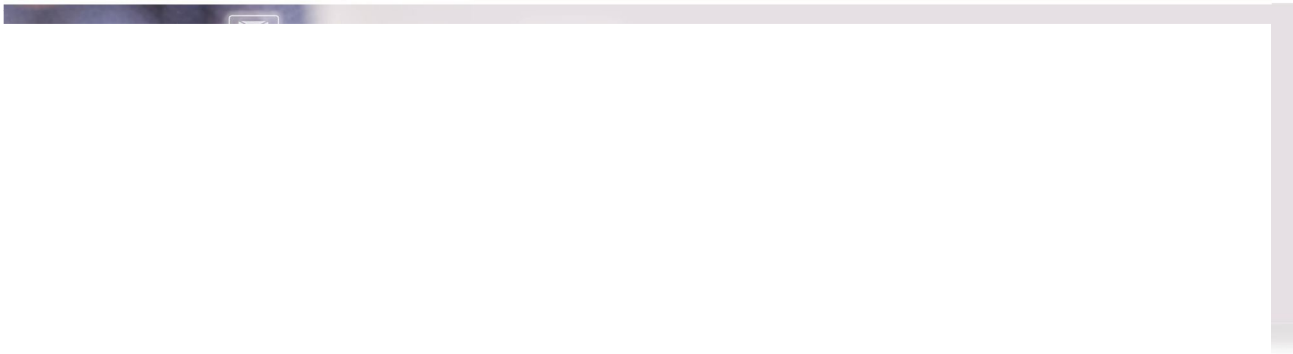

جعلها محلًّا للأغيار ومعدنًا للأكدار تزهيدًا لك فيها(٢٠). أي: جعل الله تعالى الدنيا مكانًا للأمراض والأسقام والمنغصات الكثيرة؛ لكي يزهد فيها العبد ولا يتشبث بها.

– من عتب على الدهر طال عتبه.

– ليس شيء أحق بطول سجن من لسان.

– المرء مخبوء تحت لسانه.

– محمود محمد شاكر: إن الباطل المشرق أضرى وأفتك بالبشر من صنوه وأخيه المظلم.. للباطل المظلم ردة، كردة الوجه القبيح(٢١) يزوي لها الناظر ما بين عينيه، أما الباطل المشرق المضيء فله فتنة تنادي كفتنة وجه الحسناء الخبيثة المنبت، تأخذ بعين الناظر، فيقبل عليها ملقيًا بنفسه في مهلك هذا الجمال الآسر، وإذا المنبت الخبيث درة مستهلكة في هذا التيار المترقرق من فتن الحسن والهوى(٢٣).

– للباطل جولة ثم يضمحل.

– الخطيب البغدادي: من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.

– إذا طبعت مرآة بصيرة القلب بتراكم صدأ الغفلة عن الرب، توارت وجوه الحقائق عن بواطن الإفهام، وامتنع عنها إنفاذ نور الإلهام، فأظلم وجه البيان بتصاعد أبخرة الخيالات، وغمامات الأوهام(٢٤).

– ابن عطاء الله السكندري: ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة(٢٥). أي: ما نفع قلب الإنسان شيء كما تنفعه عزلة مؤقتة يبتعد فيها عن الناس، يفكر في ربه وعظمة خلقه.

– إن المتكبر كالواقف في رأس جبل، يرى الناس صغارًا ويرونه صغيرًا.

– سائل الله لا يخيب.

– سبحان من لا يُخلي عبيده عند المحن من المنح، وفي النقم من النعم(٢٦).

– يموت الطاغية فينتهي حكمه، ويموت الشهيد فيبدأ حكمه.

– لا يمكن لأحد أن يمتطي ظهرك إلا إذا كان منحنيًا.

الحواشي

١– الحكم العطائية، ص٢٣.
٢– الفوائد، ص٦٤.
٣– الأدب الكبير، ص١٠١–١٠٢.
٤– التذكرة الحمدونية ١٠٢/٣.
٥– أخلاق الوزيرين، ص٣٩٠.
٦– كلمة وكليمة، ص٤٥.
٧– الإعجاز والإيجاز، ص٥٣.
٨– أي: الحظ.
٩– البصائر والذخائر ١٥٣/٤.
١٠– كليلة ودمنة، ص٢٨٤.
١١– الضغث: قطعة.
١٢– البصائر والذخائر ٣٦/١.
١٣– البصائر والذخائر ٦٦/٣.
١٤– البصائر والذخائر ١٠٧/١.
١٥– البصائر والذخائر ١٩٩/٤.
١٦– كليلة ودمنة، ص١٣١.
١٧– الحكم العطائية، ص١٩.
١٨– نهاية الأرب ٤٨/٦.
١٩– جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ١٩٩/١.
٢٠– الحكم العطائية، ص٥٧.
٢١– أي: يرتد عنه الإنسان كما يرتد عن رؤية وجه قبيح.
٢٢– جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ٥٩٣/١.
٢٣– سير أعلام النبلاء، ٢٨١/١٨.
٢٤– البرهان المؤيد، ص٥٣
٢٥– الحكم العطائية، ص٢٥
٢٦– كتاب المبهج، ص٢٨.

فقه الواقع وحركية المجتمع

د.محمد سعيد باه
أستاذ جامعي – السنغال

«الفقه» مصطلح ركن في الفكر الإسلامي وظفه الله الشارع توظيفا ضافيا ثم بنى عليه علماؤنا أصولا لتفعيل الدين منهجا لإدارة دفة الحياة وكان مصدرا للازدهار أفضى إلى نشوء حضارة إنسانية راقية، لكن المسيرة تباطأت من اللحظة المنفلتة التي أخذ ظله فيها ينكمش فأضحى قالبا ضيقا يجمد الطاقات وليس مصدرا للإشعاع، وقيدا يبطئ السير ولا منهجا محمودا مؤطرا بإيجابية وحركية متوجهة.

وإحياءً لمعالم منهجية مباركة سديدة تتغذى من «فقه المقاصد»، نادى المصلحون، ممن هالهم الجنوح الحاد الذي أصابنا، بنفض الغبار المتكاثف عن أبواب الفقه، فرنّ صوت ينادي بإحياء «فقه الواقع»، وإعادة تفعيله لإعادة بناء العلاقة بين النص المنزل وبين الواقع الذي جاء لضبطه بما يلبي مطالب الجماعة المؤمنة لإدارة الكون، لكن، ما المضمون الحقيقي لفقه الواقع؟ ما معوقات تفعيله؟ ما الجسور التي يجب مدها بين الفقهين: النصي والواقعي؟

فقه الواقع: إدراك جديد لحركية المجتمع والعوامل المتحكمة في خطواته والمصادر التي يتغذى منها وما يطرأ في هذا الواقع إلى درجة أن تستوعب النظرة التي يلقيها «الفقيه» ، بين فينة وآخرى ليعدل المسار، حتى على الأشواق والميول.

معوقات تفعيل فقه الواقع: ضمور المصطلح وإفقاده أصالته ليصبح مجرد فتاوى معلبة جاهزة للتقديم دونما تسخين، وكان الأصل أنها أعدت إعدادا متناسقا مع خطوات المجموعة المؤمنة بالمنهجية التي أفرزت النصوص، وأدى هذا الزوغان إلى تصور أن النصوص هي المقاصد وليست طرائق لبلوغ المقاصد الكامنة في تضاعيفها؛ بتوهم أن الله خلقنا لتطبق علينا النصوص وليس أنَّ شرع الله كامن فيما ثبتت فيه مصلحتنا في الدارين.

حين نقرأ تاريخ الأمة نقع على نتوءات حادة وراءها نظرات جانحة أطلقها «فقيه» يعيش في جزيرة وسط مجتمع يموج موج البحر ويصطلي بنار الفتن؛ فبدلا من أن يزودهم بخراطيم المياه لإطفائها ظل يصيح عليهم مويخا لهم وأن نار جهنم أشد إحراقا، ثم انفض المؤمنون من حول موائد من ادعى الفقه «ممن حُمِّلوا الكتاب ولم يحملوه» وأصبح يفتن ولا يفتح ويفتق ولا يرتق.

فحين نتأمل في النهج الذي اختطه القرآن الكريم، يتراءى لنا أنه، حين الرد على التساؤلات التي كانت تثور في عقول المستجيبين لندائه في صيغ «يسألونك»، كان مهموما بإعطائهم جرعات تستجيب لما كانوا يعانونه من أدواء أو يجيش في جمعهم من مستحدثات.

من نماذجه أنه حين استغرب المجتمع المؤمن، وعيونهم مفتوحة على الحياة وما يمور فيها من ظواهر لافتة، فلاحظوا طلوع الهلال بحجمه المتناهي في الصغر ومضيه في اكتساب الوزن إلى أن يدق ثم يختفي إيذانا لمطلع جديد، جاءهم الرد مركزا على جانبه الوظيفي حين يوقت لهم الشعائر ويدلهم على أوان إيقاع الفروض ونحوها.

والملحظ الآخر، كان الجواب يتوجه إلى السائل أكثر من السؤال المطروح؛ وأهمية هذا المنهج، في فقه الواقع، أن السائل قد يطرح إشكالات غير واردة أو ما كان ليجني منفعة لو أجيب على قدر تساؤله بينما الفتيا تنزيل للحكم، نصا أو روحا، على الحادثة تنزيلا دقيقا يخالف «الإسقاط».

حين ننادي بفقه الواقع إنما نريد تجديد العلاقة بين النص وظلاله وبين الواقع المراد تسييجه وفق مراد الله المبني على ما يصلح حال ومآل العباد حسب ما يظهر لنا، نريد قراءة فاحصة للنص ودراسة مستوعبة للواقع تستجمع أطراف المستجدات على أساس التيسير غير المفضي إلى تعويم حقائق الدين، والضبط الشرعي الذي لا يفوت المصالح باسم الدين.

يتطلب فقه الواقع: جرعة مناسبة من معرفة بالنص مصقولة تعصم من الانحناء لضغط الواقع الشرس، وقسطا من القدرة على الموازنة والفرز والترجيح، ونظرة كلية سديدة تستشرف ما ستؤول إليه الخيارات حين نبيح أو نمنع، شعورا حادا بضخامة التبعة ونحن نوقع عن المشرع الذي نظم أحوال عباده وفرائضه عليهم بين عمودي: انتفاء الحرج في مطالب تحقيق الدينونة، وإرادة اليسر فيما افترض من شعائر.